ثقافات الشعوب



25.10.2014



جنيات لاجناني

حكايات شعبية من آيرلندا

مختارات وتنقيح: وليم باتلر ييتس
ترجمة: تغريد الغضبان

جنيات لاجناني

حكايات شعبية من آيرلندا

@ketab_n

جمع :
وليم باتلر ييتس

ترجمة :
تغريد الغضبان





Twitter: @ketab_n

جنيات لاجناني

حكايات شعبية من آيرلندا

Twitter: @ketab_n

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

جنيات لاجناني: حكايات شعبية من آيرلندا

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR153.5.F3512 2009
Yeats, W.B. (William Butler) 1865 - 1939.
[Fairy and Folk Tales of the Irish Peasantry]

جنيات لاجناني: حكايات شعبية من آيرلندا/ جمع وليم باتلر ييتس؛ ترجمة تغريد الغضبان.
- ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
164ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-531-4
ترجمة كتاب: Fairy and Folk Tales of the Irish Peasantry
1 - القصص الشعبية الايرلندية. 2 - الحكايات الايرلندية. أ- غضبان، تغريد.
ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان



كلمة
KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: +971 2 6314 468 ،
فاكس: +971 2 6314 462



ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: +971 2 6215 300 ،
فاكس: +971 2 6336 059

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.
حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

Twitter: @ketab_n

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

بعد قراءة حكاية «موناشار وماناشار» في هذا الكتاب (في الجزء الثالث من الحكايات الآيرلندية)، تذكّرتُ حكاية «الصبيّ اليتيم» التي كنتُ أُصرّ على جدّتي أن تحكيها لي كلما سنحت الفرصة لذلك. كانت تعتدل في جلستها وترخي يديها المليئتين بالتجاعيد في حضنها وتبسمل، ثم تبدأ بقص الحكاية التي تروي قصة صبي يتيم يصعد إلى الجبل ويحفر حتى يجد حبة شعير وحبة قمح، فيترك الأولى ويضع الثانية في جيبه، ثم يبدأ بهبوط الجبل، ليصادف في طريقه امرأة تطحن، فيطلب منها أن تطحن له حبة القمح. ترفض المرأة في البداية بحجة أن حبة قمح واحدة لا تكفي، وسوف تعلق بحجر الطاحون، فيقنعها بقوله: «أنا صبي تيمي، طلعت عَ راس جبيلي، بحشت، بحشت، لاقيت قمحة وشعيري، قمحتي ما بتروح قمحتي ست القموح».

عندما يرجع الصبي لأخذ الطحين تعلن المرأة أسفها، وتخبره أن حبة قمحه علقت في حجر الطاحون، فيقول لها: «أنا صبي

تيمي، طلعت عَ راس جبيلي، بحشت، بحشت، لاقيت قمحة وشعيري، قمحتي ما بتروح، قمحتي ست القموح، قمحتي بحفنة طحين».

وهكذا تتوالى أحداث الحكاية، فيصادف امرأة تعجن، فيحصل منها على رغيف عجين مقابل حفنة طحينه، ثم أخرى تخبز، ثم راعي أغنام، فأبقار، فجمال، حتى يصل إلى بيت يجري فيه عرس. تتكرر جملة الصبي اليتيم محتجاً ومطالباً بالتعويض عما فقده حتى يرجع إلى بيته على حصان مطهّم وخلفه عروس جميلة، فينفخ على سراجه في غرفته الفقيرة قائلاً:

«يا سراجي نوص نوص بالجمل جبتلك عروس».

هذه الحكاية مازالت محفورة في ذاكرتي، رغم تعاقب السنين واتساع التجارب والمشاهدات والقراءات، ولطالما سألتُ نفسي ما سرُّ حكايات كهذه؟ وكيف يستطيع الغول الذي سمعنا حكايته ونحن في السادسة، وكنا نرتجف خوفاً لمجرد ذكر اسمه، أن يرتع في ذاكرتنا، بقدميه الضخمتين وعينه الواحدة، طوال هذه السنوات من دون أن تتمكن شخصيات حديثة - تلفزيونية أو سينمائية - بكل ما فيها من تسلية وسحر وألوان، وما تثيره حولها من صخب - من طرده، أو احتلال مكانه في

Twitter: @ketab_n

قلوبنا التي كبرت مع الزمن، وازدحمت بكل أنواع القصص والأحداث والشخصيات.

وهناك فوق جبال آيرلندا وهضابها، وبين أوديتها ودروبها الترابية الضيّقة، وعلى ضفاف بحيراتها الكثيرة وشطآنها الصخرية، عاش أناسٌ مثل جدتي فقدوا أسنانهم، وخبا الضوء في عيونهم وشابت شعورهم، ومنهم من صار تحت التراب، لكن حكاياتهم البسيطة المليئة بالخيال والغرابة والفكاهة والشفقة مازالت تعيش حيّة نضرة في قلوب كل من سمعها من أجيال جاءت بعدهم.

يقول وليام بتلر ييتس[1] الذي خاض رحلة بحث طويلة وشاقة - وأتخيل أنها كانت ممتعة أيضاً- لجمع هذه الحكايات من أفواه أناس مشابهين لجدتي:

«من الملاحظ أنه حتى في قرية غربية ليس من السهل عليك الإطلاع على قصص الأشباح وأساطير الجن من دون الاختلاط بالناس في بيئتهم، ومصاحبة الأولاد والعجائز وأولئك الذين لا يطحنهم ضغط الحياة اليومية. فالعجائز على سبيل المثال يعرفن الكثير، لكنهن لا يبحن بما يعرفنه بسهولة لأن قصصاً

(1) وليام بتلر ييتس: شاعر ومسرحي إنجليزي من أصل آيرلندي، ولد عام 1865 وتوفي عام 1939. يعتبر واحداً من أهم الأدباء والشعراء في القرن العشرين. نال جائزة نوبل للآداب 1923 (م).

Twitter: @ketab_n

كهذه تعتبر سرية، ومنذ عهد قريب فقط أخذت جرأة الناس تزداد لتناول مواضيع الجن وما شابه. ومع هذا يبدو لي أن هناك عدداً لا بأس به من العجائز اللواتي يغادرن هذا العالم قبل إخبار ما يعرفنه من قصص الجن والأرواح وتختفي تلك القصص والأساطير باختفائهن»[1].

ويشرح ييتس كيفية التعامل مع هذه القصص وتناقلها عبر الأجيال قائلاً:

«تُخبِر تقارير الأبرشية الآيرلندية عن كيفية اجتماع الحكاة مساء لمعاينة نسخ الحكايات التي يعرفونها ومقارنتها، وإن اتضح أن أحدهم لديه نسخة مخالفة لنسخ الآخرين، يقومون جميعاً بروي تلك الحكاية ويجري التصويت، وعلى الحكواتي الذي يتضح أنه صاحب النسخة المغايرة لنسخ الجميع، أن يتنازل عن نسخته، ويعتمد في المستقبل النسخة المتفق عليها من قبلهم جميعاً. وهكذا فقد كان تناقل الحكايات يجري بدقة وجدية، فتتم المحافظة على صيغة الحكاية الأصلية كلمة بكلمة من دون زيادة أو نقصان»[2].

---

(1) من مقدمة جامع ومحرر هذه الحكايات عن الايرلندية، وليام بتلر ييتس والتي نقدم هنا مختصراً لها بسبب شدّة طولها (م).

(2) من مقدمة ييتس.

Twitter: @ketab_n

يؤكد ييتس، الذي اقتفى أثر أولئك الرواة وشاركهم الحياة في أكواخهم الفقيرة «ذات السقوف الدالفة» على بساطة هذه الحكايات التي غدت مع ذلك موازية لآدابنا الحديثة. يقول في مقدمته:

«هذه الحكايات الشعبية مليئة بالبساطة والموسيقى معاً، فهي أدب طبقة من الناس، مازالت تمر عليهم أحداث دورة الحياة المعهودة من ولادة وموت وألم وحب، بالطريقة نفسها منذ قرون. أناسٌ يخمّرون كل شيء يرونه في القلب، ويبدو لهم كل شيء علامة أو رمزاً. ليس لديهم سوى المحراث الذي اخترعه الإنسان القديم، بينما ابن المدينة لديه الآلة التي تؤلّف عنه القصص وتفعل عنه كل شيء، فأدب المدينة أدب محدث نعمة. ولدى الفلاحون أحداث قليلة ولا يسعهم سوى تقليبها مثلما يقلبّون الحطب في مواقدهم حتى لتختلف كل نسخة عن الأخرى وينقلب الخير إلى شر وبالعكس، بينما نحن أبناء المدينة تمر علينا تفاصيل وأحداث كثيرة في اليوم الواحد، لدرجة أن قلوبنا لا تستطيع استيعابها وتحمّلها»[1].

(1) من مقدمة جامع ومحرر هذه الحكايات عن الآيرلندية، وليام بتلر ييتس.

Twitter: @ketab_n

وفي هذا الكتاب اختار لنا وليام بتلر ييتس الكثير من الحكايات، التي سمعها بنفسه من أفواه رواتها– كبادي فلين، العجوز البحار المتقاعد، الذي أكدّ أنه رأى الجن بنفسه وهم يزعجونه، وقد انتشل أحدهم مرة من الماء– أو جمعها من كتّاب سمعوها وأعادوا صياغتها ونشرها مثل كروكر ولوفر وكارلتون وكينيدي وآخرين. حكايات تدخلنا إلى عالم الجنّ الملاعين، والأشباح والعفاريت والساحرات، عرائسُ وعرسانُ البحر، الجميلات الكسولات والأميرات المتكبّرات، العمالقة والنساء ذوات القرون، الزبدة التي ترقص، والجنيّ الذي يصنع الأحذية ويكدس المال، والكثير من الفكاهة والظُرف والسخرية والخيال.

حكاياتٌ مرّت من جيل لجيل ومن لسان للسان ومن قلب لقلب.

تغريد الغضبان

Twitter: @ketab_n

الجنّ المحتشدون[1]

وليام آلينجام

عالياً فوق قمم الجبال الشاهقة

أو أسفل الوديان الصاخبة، هناك،

لا نجرؤ على الصيد قطّ،

خوفاً من الجن الصغار،

الجن الطيبون،

مثل فريق جند، نراهم محتشدين.

معاطفهم خضراء،

قبعاتهم حمراء،

وفوق الرأس ريشة بيضاء، كانت يوماً لبومة.

على طول الشاطئ الصخريّ

(1) الجن المحتشدون، نوع من الجن يعيشون معاً في مجموعات كبيرة (حسب زعم الحكايات) وهم مرحون، يحبون صرف الوقت بالرقص والغناء (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

بعضهم يبني البيوت.

زادهم فطائر يابسة،

وشرابهم زبد الموج الأصفر.

وآخرون يبنونها بين قصب

بحيرة الجبل الأسود.

ومن الضفادع المتقافزة تتغذى كلابهم

التي لا يغمض لها جفن.

عالياً فوق قمة الرابية يتربّع ملكهم العجوز،

قليل البهاء والفطنة لكثرة ما طعن في السن.

يحلّق فوق جبال «كولومبكل»،

عبر جسر من الضباب الأبيض،

قادماً بجلال من «سليفليج» إلى «روسيس»[1].

أو متعلقاً بحبال الموسيقى وصاعداً للأعلى،

(1) كولومبكل ، سليفليج، روسيس أسماء أماكن ريفية وسلاسل جبلية في آيرلندا (م).

Twitter: @ketab_n

في ليال باردة مرصعة بالنجوم.

تنتظره على العشاء،

ملكة أضواء الشمال المبهجة.

الفتاة الصغيرة بريدجت، خطفوها،

وفي الأعالي سبع سنوات، خبّأوها.

حين عادت، لم تجد رفيقاتها،

وقبل بزوغ الفجر،

مرة أخرى، بهدوء للأعلى، سحبوها.

ظنّوها نائمة، لكنها كانت من الحزن ميتة.

ومنذ ذاك الحين،

فوق سرير من ورق السوسن، بين أعواد البحيرة، مددوها.

وظلوا إلى الآن، من حوّلها، ينتظرون صحوتها.

على حواف الصخور، فوق الهضبة، وبين الطحالب العارية،

Twitter: @ketab_n

غرسوا شجيرات الأكاسيا،

ليتسلّوا ويزجوا الوقت.

لا يجرؤ مخلوق على قلعها، تلك النبتات،

فمن يفعل، لابد ساهر ليله على سرير من الشوك.

عالياً فوق قمم الجبال الشاهقة،

أو في أسفل الوديان الصاخبة، هناك، لا نجرؤ البتة على الصيد،

خوفاً من الجن الصغار.

الجن الطيبون

مثل فريق جند، نراهم محتشدين،

معاطفهم خضر،

قباعاتهم حمر،

وفوق الرأس ريشة بيضاء،

كانت يوماً لبومة.

Twitter: @ketab_n

فرانك مارتن والجن
وليام كارلتون

حين رأيت فرانك مارتن بدا لي رجلاً شاحباً نحيلاً ذا ملامح واهنة سقيمة منذ الصغر. شعره بني يميل إلى الاحمرار ويترك ذقنه مرخية في أغلب الأحيان. ويداه ناعمتان يغلب عليهما البياض الشديد، مما دفعني للظن بأن ذلك عائد لعدم مزاولته يوماً أي عمل شاق، وربما بسبب صحته المعتلة على الدوام.

ويتمتع فرانك بإحساس مرهف، وهو منطقي متزن في كل شيء كأي رجل عاقل، لكن حين يتعلق الأمر بالجن وقصصهم، فإنه يفقد صوابه تماماً ويصبح هوسه راسخاً وجنونه واضحاً للعيان، وبالفعل ما زلت أذكر تلك النظرة الوحشية التي تتملكه حين يحكي عنهم، وكم يبدو صدغاه الطويلان الضيقان هزيلين وشاحبين.

ومع ذلك فإن فرانك، ويا للغرابة، لا يحيا حياة مكدرة أو بائسة، ولا تسبب له علته التي يرزح تحت ثقلها أي ألم أو خوف، على عكس ما قد نتخيل. فقد وطد مع الجن صداقة حميمة،

Twitter: @ketab_n

وعلى الأرجح أن حواراته معها (والتي أخشى مع الأسف أن تكون من طرف واحد) كانت دوماً تمده بسعادة عظيمة، لكثرة ما تحمله من مرح وضحك خالصين على الأقل بالنسبة إليه.

«حسناً يا فرانك، متى آخر مرة رأيت فيها الجن؟».

«صه، في هذه اللحظة بالذات ثمة دزينتان منهم في المحل. هناك جني صغير عجوز يتربع في أعلى النول، تهدهده حركتي كلما نسجت. إنهم مفعمون بالحزن، ومع ذلك، فهم ألعن مخلوقات الأرض، هذه طبيعتهم. انظر مثلاً، هناك واحد آخر منهم، يتعلق بطبق الغِراء.. ابتعد عن الطبق يا أزعر ستجلب لي الشؤم لو بقيت هناك، اتركه وإلا علّمت جلدك بضرباتي، هيا اغرب عن وجهي أيها اللص».

«ألا تخافهم يا فرانك؟».

«أنـا أخـاف؟ هاه .. ولمـاذا أخـاف؟ ليس لهم أي سلطة عليّ».

«ولماذا تظن ذلك يا فرانك؟».«لأنني عُمِدت[1] ضدهم».

(1) التعميد: طقس متبع في الديانة المسيحية حيث يغطس الأطفال بماء مقدس في جزء مخصص من الكنيسة يدعى (بيت المعمودية) ويعطون أسماء وتقرأ أثناء ذلك تراتيل دينية خاصة لحمايتهم أثناء حياتهم (م).

Twitter: @ketab_n

«ماذا تقصد؟».

«أقصد أن أبي طلب من القِس الذي عمّدني وضع تعاويذ خاصة لحمايتي من الجن في صلاة المعمودية، وعادة يتوجب على القس تنفيذ كل ما يطلب منه أثناء التعميد، فعمل على تحقيق توصيات أبي حرفياً، وأُقسمُ بشرفي أن ذلك كان لصالحي. اترك الشحم أيها الخسيس الشره، أرأيت؟ هناك لص حقير منهم يأكل الشحم الذي وضعته، طبعاً فهم يرغبون بتتويجي ملكاً عليهم».

«وهل هذا ممكن؟».

«بالتأكيد، يمكنك أن تسألهم بنفسك وسيخبرونك».

«وكيف هو حجمهم يا فرانك؟».

«أوه .. إنهم صغار جداً، يرتدون معاطف خضراء وينتعلون أغرب أحذية رأتها العين، أترى؟ هناك اثنان منهم يركضان على أوتار النول، هما رفيقان قديمان لي، الجني الصغير ذو الشعر المستعار اسمه جم جام، وذلك الآخر ذو القبعة المعقوفة يدعى نكي نك، وهو يتقن العزف على المزمار... تعال يا نكي اعزف لنا شيئاً وإلا آذيتك، هيا اعزف أغنية «بحيرة إيرن شور»[1] صه، دعنا نصغي».

---

(1) Lough Erne Shore (بحيرة ايرن شور) أغنية شعبية (م).

Twitter: @ketab_n

كان المسكين – رغم انشغاله في النسج طوال الوقت – يحاول بكل جوارحه سماع الألحان والاستمتاع بها كأنها موسيقى حقيقية تنبعث فعلاً من مكان ما.

لكن من منا يستطيع الجزم بأن ما نجده من نقيصة عند الآخرين ليس إلا مصدر سعادة لا تنضب بالنسبة إليهم، وربما هو عندهم أعظم وأثمن من كل ما نتمتع به نحن. وقد نسيت اسم الشاعر الذي قال:

«ما أعجب ألغازك أيتها الطبيعة:

حيث الرؤية أروع مما يُرى

وحيث ريشة الطبيعة

تعجز أمام ريشة الخيال»[1].

كثيراً ما يزور محل فرانك ولد يكاد لا يتجاوز السادسة أو السابعة من عمره. يدخل بقلب يتنازعه الفضول والخوف، كي يصغي لحواراته مع هؤلاء الجن الطيبين. فلسان فرانك مثل مكوكه لا يتوقف عن الغزل منذ الصباح حتى المساء. وقد عُرف عنه أنه إذا أفاق فجأة في الليل، فأول ما يفعله هو التلويح بيده لطرد الجن

(1) الشاعر جون لوغان، قصيدة «أنشودة للنساء»، 1770 (م).

Twitter: @ketab_n

من فراشه، صارخاً بهم: «اذهبوا أيها الملاعين اللصوص. حلوا عني فوراً. نكي، أهذا وقت العزف على المزمار! هيا اذهب من هنا. أعاهدك لو رحلت الآن سأكافئك بهدية غداً. سأحضر خلطة غراء جديدة في الصباح وسأدعك تلحس ما سيتبقى منها في الطبق. نعم أحسنتم بالخروج، أف، يا لهم من مخلوقات مسكينة مطيعة، وها قد غادر الجميع إلا صاحب القبعة الحمراء، لا يرغب بتركي».

وبعدها يغط هذا المجنون الذي لم يمسسه سوء، ثانية في نومه الهانئ.

ويُحكى أنه وقع في تلك الفترة تقريباً حادث خارق منح فرانك قدراً كبيراً من التقدير في عيون جيرانه. فقد التقيت رجلاً اسمه فرانك توماس، أثناء أول حفلة راقصة أحياها ميكي روي في بيته، كما ذكرت في مناسبة سابقة، ولفرانك هذا ولد مريض، لست أذكر الآن مَمَ كان يشكو، لكن هذا ليس مهماً البتة، المهم أن أحد سقوف بيت فرانك المنحدرة كان يتكئ، بل يتداخل مع رابية، يحكى أنها مسكونة بالجن، ومما جعلها في نظري أكثر وحشة هو تلك الروابي الترابية الصغيرة الثلاث التي قيل إنها قبور أطفال وثنيين، واعتُبر المرور بالقرب منها خطراً ومجلبة

Twitter: @ketab_n

للشؤم. وفي إحدى أمسيات منتصف الصيف قبيل الغروب، في فترة مرض الطفل، سُمع صوت منشار آتياً من صوب الرابية. وقد أثار الصوت استغراب المجتمعين في بيت فرانك توماس وذهب بعضهم لاستطلاع الأمر ومعرفة من يقدم على تقطيع الخشب في مثل ذلك المكان المخيف وفي مثل تلك الساعة المتأخرة. فالجميع يعرف أن لا أحد في الريف برمته يجرؤ على قطع أي من شجيرات الأكاسيا القليلة التي على الرابية. ومع ذلك قرروا تحري الأمر، وكم استغربوا بعد فحص دقيق للمكان عدم عثورهم على أي أثر يذكر لاستعمال المنشار، ولا لمن كان يقوم بذلك. وحين لم يجدوا أحداً عادوا الى البيت وما كادوا يجلسون خائفين حتى سمعوا صوت المنشار نفسه على بعد عشر ياردات فاندفعوا لتحرّي الأمر ثانية ووفقوا هذه المرة. فبينما كانوا واقفين على الرابية سمعوا الصوت منبعثاً من تجويف صغير، على بعد حوالي مئة وخمسين ياردة أسفلهم تقريباً، ولو أن أحداً كان هناك لرأوه بوضوح من موضعهم. وفي الحال انطلق فريق منهم للتحقّق من تلك الضجة، وبمجرد وصولهم سمعوا صوت النشر مصحوباً بصوت مسامير تُدق وظلّ من بقي منهم على الرابية يسمع الصوت، وبعد التشاور فيما بينهم قرروا أن يرسلوا في طلب فرانك مارتن الذي لم يكن يبعد أكثر من ثمانين أو تسعين

Twitter: @ketab_n

باردة عنهم. فحضر فرانك فوراً، وحلّ اللغز قائلاً: «إنهم الجن، أراهم بوضوح منهمكين بالعمل».

«ولكن ما الذي يفعلونه يا فرانك؟».

«يصنعون تابوتاً لطفل، لقد انتهوا من الهيكل والآن يثبتون الغطاء بالمسامير».

توفي ابن فرانك توماس المريض في الأمسية نفسها، وقد روي أنه في الأمسية التالية مباشرة قام النجار الذي طُلب منه عمل تابوت للميت بإخراج طاولة خشبية من بيت توماس استعملها على الرابية كمقعد وقد قيل أيضاً إن حركته وهو ينجز التابوت من نشر ودق ذكرت الجميع حرفياً بما سمعوه في الأمسية السابقة.

مازلتُ أحتفظ بذكرى موت الصغير وكيف تمّت صناعة تابوته، لكنني أظن أن قصة النجّار ذي القوة الخارقة للطبيعة، لم يسمعها أحد في القرية إلا بعد مضيّ عدة أشهر على الدفن.

أعتقد أن كل ما في فرانك يوحي بأنه مصاب بوسواس. فحين رأيته كان في الرابعة والثلاثين من العمر تقريباً، لكنني لا أظن، بناء على ضعف بنيته، أنه قد عمّر طويلاً بعد تلك الحادثة.

Twitter: @ketab_n

وكم كان حقاً شخصاً مثيراً للاهتمام والفضول، وكم سمعت معارفه يشيرون إلى ذكره أمام الغرباء قائلين: «إنه الرجل القادر على رؤية الناس الطيبين».

Twitter: @ketab_n

عشاء القس
توماس كروفتون كروكر

يزعم من له خبرة في هذه الأمور أن الجن ليسوا إلا ملائكة طُردوا من الجنة بسبب سوء سلوكهم ونفيوا إلى الأرض. بينما رفاقهم الآخرون الأكثر سوءاً، عوقبوا بالهبوط إلى مكان أبشع هو العالم السفلي. ويُحكى أنه في إحدى الليالي المقمرة، في أواخر الصيف، كانت جماعة لاهية منهم ترقص وتمرح بصخب قرب قرية «أنشيجيلا»، شمال مقاطعة «كورك[1]» وهي أرض فقيرة سيئة الحظ لكونها تقع في مكان مقفر، مُحاط بكتل ضخمة من الجبال الصخرية العارية. لكن الفقر لم يكن يوماً ليعكر صفو جماعة الجن فكل ما يتمنونه يحصلون عليه في الحال، وما يهمهم حقاً هو متابعة لهوهم ومرحهم في أماكن بعيدة عن أعين البشر لا يزعجهم فيها أحد.

وهكذا فوق مرج معشب بجانب النهر، تجمعوا وأخذوا يدورون راقصين بسرور بالغ، متمايلين بقبعاتهم الحمراء تحت

---

(1) انشيجيلا: قرية تابعة لمقاطعة كورك وهي من أكبر المقاطعات امتداداً في شمال آيرلندا (م).

Twitter: @ketab_n

ضوء القمر، وبقفزات كلها رشاقة وخفة فلا يمكنها حتى إزعاج قطرات الندى المرتجفة تحت أقدامهم. استمروا في مغامرتهم، يدورون ويقفزون ويهرّجون حتى زقزق أحدهم قائلاً:

«توقفوا تواً عن الطبل والزمر،

قد حانت نهاية السمر

فبأنفي القوي أشم

رائحة قِس على الطريق».

فتبعثروا هاربين بأقصى سرعتهم. انحشر بعضهم تحت أوراق نبتة «اللسمور» [1] الخضراء، حيث يصعب تفريقهم عن أجراسها الأرجوانية لو أخطأ أحدهم وأطل برأسه من دون حذر. وبعضهم اختبأ في ظل الحجارة ونبات العليّق، وآخرون فرّوا للأسفل نحو ضفة النهر، ومنهم من انزلق في أول جُحر أو شق صادفه. وبالفعل لم يكن الجنيّ الذي حذرهم على خطأ، فمن إحدى ضفتي النهر، ظهر الأب هوري جان آتياً من بعيد على صهوة فرسه، مفكراً بضرورة اللجوء لأول بيت يصادفه، فالوقت قد تأخر وهو مازال في

(1) نبات كفّ الثعلب أو اللسمور: يكثر ذكره في الحكايات الشعبية الايرلندية (م).

Twitter: @ketab_n

الطريق. وهكذا حين لمح بيت ديرمود ليري في دربه، رفع مزلاج البوابة ودخل مسلماً على من فيه بالقول: «السلام عليكم يا أصحاب هذا البيت». ولا حاجة للتذكير بأن الأب هاري جان كان يحل على الرحب والسعة في أي مكان يطأه من البلاد، بسبب ورعه ومحبة الناس له.

احتار ديرمود المسكين ما الذي سيقدمه إكراماً لضيفه بدلاً من حبات البطاطا التي كانت زوجته العجوز (هكذا كان يُطلق عليها رغم أنها لم تتجاوز عشرينياتها إلا بقليل) تعدها للعشاء؟ فكر بالشبكة التي كان قد نصبها في النهر، لكن لم يمضِ عليها هناك ما يكفي لأن تغنم أي صيد يذكر. ومع ذلك قرر الذهاب ليرى، مردداً في نفسه: «لن يضرني الذهاب إلى النهر وتجريب حظي، فربما أرزق بسمكة أكرّم بها القس».

هبط ديرمود نحو ضفة النهر، ليجد بانتظاره سمكة سلمون من أروع ما رأته العين في مياه نهر «ليي»[1] الرقراقة. لكن حين مد يده لالتقاطها، سُحبت الشبكة على عجل منه، بحيث لم يتمكن من معرفة الفاعل وكيف تم ذلك. تحررت السمكة وسبحت بسرور بعيداً منه كأن شيئاً لم يحدث.

(1) نهر ليي في شمال آيرلندا (م).

Twitter: @ketab_n

حدق ديرمود بأسى في التموجات التي تركتها خلفها على سطح الماء كأنها خيوط فضيّة تلمع تحت ضوء القمر، ولم يكن بإمكانه التعبير عن غضبه إلا بتلويحة من يده اليمنى، خابطاً الأرض بقدمه وهو يلعن السمكة قائلاً: «ليرافقك سوء الطالع أينما حللت أيتها الخبيثة. ألا تخجلين من نفسك؟ هذا إن كنتِ تعرفين الخجل، لقد خدعتني بأبشع طريقة. على كل أنا واثق من أنك سمكة غير محترمة، وليس بوسع أحد سوى إبليس اللعين ذاته تخليصك من شباكي».

وخلال ذلك ظهرت مجموعة الجن نفسها التي اختبأت حين أحسّت بقدوم القس. فاحتشدت عند قدمي ديرمود ثم أطلق أحدها عقيرته مخاطباً إياه قائلاً: «هذا ليس صحيحاً، لقد تعاونت دزينة ونصف منا فقط لخطف الشبكة منك».

أطال ديرمود النظر إليه، محاولاً التفكير بما قاله، بينما تابع الجنيّ كلامه: «لا تشغل بالك بخصوص ما ستقدمه من عشاء للقس، فنحن سنتكفّل بلمح البصر بتحضير أفخم المأكولات وألذها من أجله، على شرط أن ترجع وتطرح عليه سؤالاً نرغب بمعرفة جوابه؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب ديرموند بحزم: «اعلم أيها السيد أنه لا تعامل بيننا، وإني أشكرك على هذا العرض السخي، لكنني أسمى مرتبة من أن أبيع نفسي لك أو لأي واحد من أمثالك، حتى ولو كان الثمن أكثر من مجرد عشاء. وأنا على يقين أن الأب هوري جان لن يقبل بخسارتي لروحي مقابل أي شيء مادي يمكنك أن تقدمه له، فاعتبر الأمر محسوماً منذ الآن».

لكن الجني عقد العزم على ألا يستسلم، فتابع بجسارة: «إذن أيمكنك أن تسأل القس سؤالاً مهذباً واحداً؟».

فكر ديرمود قليلاً، محاولاً إقناع نفسه بأنه لا ضرر من مجرد سؤال مهذب للقس ثم قال: «حسناً، سأنفذ طلبكم يا سادة، لكن لا تعودوا لذكر ذلك العشاء البتة».

فقال الجني الصغير متحمساً، بينما اصطف جميع رفاقه من خلفه: «عُد إذن واسأل الأب هوري جان أن يعلمنا إن كانت أرواحنا ستنجو في الآخرة مثل أرواح جميع المسيحيين الطيبين أم لا. ونتمنى أن تأتينا بالجواب سريعاً».

رجع ديرمود بيته ليجد البطاطا المسلوقة جاهزة على المائدة، وزوجته المخلصة تمد يدها للقس بحبة منها. حبة تكبر جميع

Twitter: @ketab_n

الحبات حجماً، شهية كتفاحة حمراء، يتصاعد البخار منها كأنها حصان أنهكه الجري طويلاً في ليلة شديدة البرد. وبعد بعض التردد توجه بكلامه للقس قائلاً: «أرجوك يا سعادة القس، أتسمح لي بطرح سؤال على حضرتك؟». أجاب الأب هوري جان: «وما هو؟».

«أطلب من عزتك أن تغفر لي صراحتي وجرأتي في سؤالك إن كان الرب سيغفر للجن أخطاءهم وينجيهم يوم القيامة؟».

صعب على ديرمود احتمال تلك النظرة المحملقة التي سلّطها عليه القس قبل أن يسأله قائلاً: «ومن كلفك بأن تلقي علي سؤالاً كهذا يا ليري؟».

أجاب ديرمود: «ليس أفضل من قول الصدق، لذلك لن أكذب عليك، إن الجن أنفسهم من طلب مني أن أسألك هذا السؤال. إنهم مجتمعون هناك بالآلاف عند ضفة النهر ينتظرون عودتي بالجواب».

قال القس: «اذهب إليهم وأخبرهم إن كانوا يرغبون بمعرفة الجواب عليهم المجيء بأنفسهم إلى هنا، وسأجيب عن كل أسئلتهم بكل سرور».

Twitter: @ketab_n

توجه ديرمود إلى الجن ليخبرهم. وحين وصل اندفعوا إليه يحومون حوله بشغف لسماع جواب القس. تكلم ديرمود بجرأة كما اعتاد أن يفعل دوماً، لكنهم حين علموا أن عليهم الذهاب للقاء القس بأنفسهم تفرقوا هاربين في كل اتجاه وقد تركته حركتهم المجنونة مضطرباً كل الاضطراب. لكن لم يمضِ عليه زمن طويل حتى استعاد قوته وانطلق عائداً إلى بيته حيث وجد البطاطا المسلوقة الجافة بانتظاره ليتناولها برفقة الأب هوري جان الذي تعامل مع كل ما حدث ببساطة مدهشة. وأما هو فلم يستطع منع نفسه من التفكير كيف يمكن لكلمات القس إبعاد الجن في لمح البصر، وليس بوسعها إضفاء نكهة لذيذة على طعام قائلها بالذات، فلو أن الأمور تجري على هذا النحو، لعادت سمكة السلمون إلى شبكته أيضاً.

Twitter: @ketab_n

جنيات بئر لاجناني[1]

صموئيل فيرجسون

غنّي بحزن يا أختي العزيزة

آه يا أختي يا إلين،

مصيبتي عظيمة،

ولا عزاء لي سوى التنهدات والدموع

لماذا من سرق مني الأمل لم يأخذ معه ألمي!

آه يا إلين

غني بحزن

سأذهب بعيداً إلى هضبة «سليميش»

لأقتلع شجرة الجن الشوكية

(1) أغنية مشهورة في تراث آيرلندا الشعبي كأغنية رومانسية حزينة عن فتاة تبكي خسارة أختها أو صديقتها (م).

Twitter: @ketab_n

ولتفعل بي الأرواح بعدها ما تشاء

فلن أهتم لمصيري، أطيباً كان أم شقياً،

أريدهم إرجاع ذكرياتنا التي لا تفارقني

غنّي بحزن،

الجنّ قوم صامتون، صفر كزهور السوسن،

لكن لا تخيفني وجوههم الشاحبة

ولا التجوال في بلادهم الخيالية

ما أخشاه هو الذاكرة

ليتني بصحبة آنا غريس[1]

غني بحزن،

اسمعي حكاية عذابي»

هكذا قالت أونا بان، بصوت خفيض لأختها الباكية إلين.

وأجابتها إلين ببطء وحزن: «آه يا أونا انتبهي ألا تغرقي

---

(1) آنا غريس شخصية من الحكايات الشعبية ورد ذكرها في حكاية أخرى. كانت تتجول مع صديقاتها حين سرقها الجن واختفت للأبد (م).

Twitter: @ketab_n

اسمعي حكاية عذابي

لهذا الألم غير المقدس أصلي،

للألم الذي يمزّق قلبي،

لو استطعت مساعدتك فلن أتأخر

جنّيات بئر لاجناني

يجلسن قربي

وأنا أرتجف خوفاً يا أختي أونا بان»

سمعتُ النساء الحكيمات يخبرن قصتها فيقلن:

«قبل بزوغ الفجر زارتها ثلاث عذراوات عفيفات

غسلن صدرها بأيديهن النقية ثلاث مرات

وثلاث سيدات نزعن عنها العشب

ودرن حول النبع ثلاث مرات

و سرعان ما نسيت دموعها وأناتها»

«اسمعي لحكاية عذابي

Twitter: @ketab_n

يا للأسف.

آه يا أختي إلين

يا أختي الحلوة

تعالي معي نصعد الهضبة كي أصلي

وسأثبت أن روحك حرة مباركة»

صعدتا التلة بهدوء وصمت

بعد أن تركتا أمهما الحكيمة نائمة للأسف.

وفي الحال وصلتا لبئر الجن

(عين الجبل الرمادية بمائها الرقراق)

البئر المشرعة بابها كفخ

من الصعب معرفة كم مر عليهما من وقت هناك

حتى جاء زمن أحست أونا بان بأن صدرها ينتفخ

حدقت في صدرها ثلاث مرات

يلزمها ثلاث نبتات من السرخس

Twitter: @ketab_n

(حسب توصيات التعويذة)

قطفتها ببتلاتها الرفيعة

وعند البئر ستواجه قدرها بجسارة

يا للأسف.

(نجّنا يا رب من عبودية الجن)

ورأت إلين وجه أختها عند حافة البئر مرة واثنين وثلاثاً

ثم لا شيء بعدها

ذاب النبع والهضبة والعذراوات في قلب العتمة

«يا أونا بان يا أونا بان، أنتِ من عليّ أن أنادي»

لم يُسمع أي جواب من أونا بان

فهي تمشي في ردهة الأحلام

تحرسها عين بشرية

أمن المعقول أن الحارس قد رحل وهو الأعتى من جدار أو درع

Twitter: @ketab_n

هو المشهور في كل الأرض بإنقاذه «جورلاج داون»

(نجّنا يا رب من عبودية الجن)

انظر إلى الضفاف، كيف هي خضراء وجرداء في آن معاً

لا شيء هنا خالد.

حدّق جيداً في النبع

وكيف تستقر الحصى آمنة في قعره،

وأما القشة فتدور حول نفسها.

هيا اذهب سريعاً لبيتك

وصلّ قائلاً: «نجّنا يارب من عبودية الجن».

Twitter: @ketab_n

تيجوكان والجثة

ترجمها إلى الإنجليزية دوجلاس هايد[1] حرفياً عن الآيرلندية

زعموا أن فتى قوياً نشيطاً وابناً لأحد المزارعين الأثرياء، عاش فيما مضى في مقاطعة «ليترم» وجعله دلال أبيه وماله الوفير، اللذان لم يبخل بهما يوماً عليه، شاباً كسولاً ومحباً للهو والتسلية أكثر من حبّه للعمل، ومبذراً لدرجة أنه كان ينفق الذهب بسهولة وعدم اكتراث كأنه ينفق قطع النقود العادية. وقد اعتاد قضاء وقته متسكعاً خارج البيت حيث لا يفوته مهرجان أو سباق أو حفلة حتى لو اضطر إلى السفر عشرة أميال لأجل ذلك. وأما ولعه بمطاردة الفتيات فمن أكبر عيوبه. فلم تنجُ فتاة في طول البلاد وعرضها من براثنه، وقد لعبت وسامته المفرطة ونظرته الخلابة دوراً مهماً في الإيقاع بهن واصطياد قلوبهن بسهولة. ووصفه أحدهم قائلاً:

«انظروا إلى هذا المحتال

يقضي وقته في الغرام والقُبل

---

(1) دوغلاس هايد (1860 – 1949): شاعر وعالم باللغة الآيرلندية، أصبح أول رئيس لجمهورية آيرلندا بين 1929 و1945 (م).

Twitter: @ketab_n

ولا عجب في ذلك فهو مثل قنفذ عجوز يقفز

من مكان لآخر طوال الليل وفي النهار ينام».

وبمرور الوقت صار أكثر تمرداً ومكراً، وصار من الصعب السيطرة عليه وغالباً ما هز العجائز رؤوسهم بأسف حين يمرّ بهم، متسكعاً كعادته، مرددين: «من السهل تخيل ما سيؤول إليه حال الأرض بعد موت أبيه، سيخسرها كلها في أقل من سنة».

و رغم إكثاره من المقامرة والشراب، ألا أن أباه لم يكن يبالي بسلوكه أو يعاقبه قطّ. لكن حين علم أن ابنه قد غرّر بواحدة من بنات الجيران وعاشرها في السر دون نية الاقتران بها، استشاط غضباً واستدعاه قائلاً له بهدوء وصرامة: «أنت تعلم يا ولدي كم أحببتك حتى هذه اللحظة، وأنني لم أعترض طريقك يوماً فتركتك تفعل ما يحلو لك، وأعطيتك من المال أكثر من حاجتك، وخططت لأن أترك لك بعد موتي البيت والأرض وكل ما سيبقى في هذا العالم من مقتنياتي بعد فنائي، لكنني اليوم سمعت قصة جعلتك ضئيلاً جداً في نظري، ولا يسعني وصف حزني وخيبتي حين سمعت بما حدث، وأقول لك صراحة إن لم تتزوج تلك الفتاة فسأترك جميع ممتلكاتي لابن أخي. فلا يمكنني التفريط بثروتي ومنحها لشخص لا يستحقها ممن يسيء لشرف

Twitter: @ketab_n

بنات الناس ويخدعهن. عليك أن تحسم أمرك، فإما أن تتزوجها لتحصل على ثروتي كهدية لمستقبلكما، وإما أن ترفض، وتخسر الفتاة وثروتي معاً. وسأنتظر ردك في الصباح». وأما هو فقد سارع للرد على أبيه قائلاً: «لا استحق كل هذا منك يا أبي، أنا ولدك الطيب، ثم من قال لك إنني لن أتزوجها». لكن أباه لم يتريث ليصغي وانصرف في الحال. ولم يساور الغلام أي شك حول جدية أبيه رغم كل ما أبداه من لطف وهدوء، فليس في البلاد من يشبهه في حزمه وشدة بأسه حين يعزم على تنفيذ أمر ما، الشيء الذي أربكه وجعله محتاراً في أمره، فهو يحب الفتاة بصدق ولا مانع لديه في الاقتران بها يوماً ما، لكنه يفضّل البقاء عازباً في الوقت الحاضر، مستمتعاً بحياته كما هي من شرب ولهو وتسكع. وما ضايقه أكثر هو لهجة أبيه الآمرة المهددة. فردد في نفسه سراً: «أليس والدي بأحمق! لم أكن بحاجة لأوامره لأتزوج ماري، فأنا أحبها ومتلهف للزواج منها، أما وقد أمرني وهددني فسأعانده وأؤجل الأمر قدر استطاعتي».

لكن تأرجحه بين تنفيذ ما طُلب منه وما يرغب حقاً بفعله تركه مضطرباً، فخرج إلى الشارع للترويح عن نفسه. أشعل غليونه ومشى متهادياً حتى أحس بأنه نسي مشكلته تماماً. كان

Twitter: @ketab_n

الليل جميلاً مناراً بضوء القمر الساطع والهواء عليل وخفيف، فقطع ما يقارب الثلاث ساعات حتى انتبه لتأخر الوقت وضرورة العودة. فصرخ فجأة: «تباً لي، لقد سرقني الوقت ونسيت نفسي، لابد من أن الساعة تجاوزت الثانية عشرة».

ولم يكد ينطق جملته حتى سمع عدة أصوات مختلطة مع وقع أقدام تخبط الطريق أمامه فحدّث نفسه قائلاً: «من تُراه يمشي في درب معزول كهذا في مثل هذا الوقت المتأخر؟».

وحين توقف وأصغى سمع ما يشبه حديثاً غامضاً بين مجموعة من الأشخاص، فتساءل بخوف واستغراب: «أوه، أنا خائف، بأي لغة تراهم يتحدثون! ليست الآيرلندية ولا الإنجليزية ولا يمكن أن تكون الفرنسية». ثم تابع سيره قليلاً حتى بان له فريق من الناس صغار الحجم قادمين نحوه، يشتركون في رفع حمل ثقيل. همس لنفسه: «آخ، يا للمصيبة، أيعقل أن يكونوا من الجن؟».

وحين رآهم يسرعون باتجاهه انتصب شعر رأسه خوفاً. نظر إليهم ثانية ولاحظ أن عددهم يقارب العشرين وجميعهم قصار القامة لا يتجاوز طول واحدهم ثلاثة أقدام أو ثلاثة أقدام ونصف، وغالبيتهم من العجائز الشيّب. حاول تدقيق النظر

Twitter: @ketab_n

فيهم عن بعد علّه يعرف ما يكون ذلك الشيء الثقيل الذي يحملونه لكن دون جدوى. حين صاروا بجانبه أحاطوه من كل الجهات ثم رموا حملهم على الأرض، فعرف فوراً أنها جثة. أحس أن دماءه جفت في عروقه من الرعب وهو يراقب أحدهم يقترب منه قائلاً: «أليس من حسن الحظ أننا صادفناك يا تيجوكين؟».

تجمد المسكين وأصابه الخرس فلم ينبس بكلمة أو حتى يتمكن من تحريك شفتيه ليجيب عن السؤال. كرر الجني قائلاً: «أليس توقيتاً مثالياً أن نصادفك يا تيجوكين؟». ومرة أخرى لم يجب تيج. فألح الجنيّ قائلاً: «للمرة الثالثة أسألك يا تيجوكين، أليس لقاؤنا بك من دواعي الحظ الطيب والمصادفات السعيدة؟».

لكن تيج ظل صامتاً إذ عقد الخوف لسانه تماماً. استدار الجني نحو رفاقه وقال وبهجة النصر تلتمع في عينيه: «ليس لدى تيجوكين ما يقوله، هيا لنفعل به ما نشاء».

ثم خاطب تيجوكين قائلاً: «أنت تحيا حياة سيئة يا تيج، ولهذا سنجعلك عبدنا، لا تحاول مقاومتنا فلا فائدة من ذلك، هيا تقدم واحمل هذه الجثة». لكن تيج ظلّ متجمداً من الخوف والفزع فلم ينطق سوى كلمتين اثنتين: «لن أفعل». كرر الجني

Twitter: @ketab_n

خلفه، مازجاً كلامه بضحكة خبيثة خشنة وحادة، تردد صداها كأنها صوت انكسار مفتاح في القفل، أو جرس معطل: «ها .. ها..هاه .. تيجوكين يرفض حمل الجثة، أرغموه على ذلك».

وقبل أن يتم الجنيّ كلامه تجمعوا كلهم حوله وأخذوا يضجون ويضحكون.

حاول الهرب منهم لكنهم لحقوا به، وعرقله أحدهم بقدمه فتدحرج المسكين على الأرض، وقبل تمكنه من النهوض أمسكوا به، بعضهم من يديه وبعضهم من قدميه وبطحوه أرضاً.

ثم قام ستة أو سبعة منهم برفع الجثة ووضعها على ظهره، جاعلين صدرها ملتصقاً بظهره وكتفيه، وذراعيها يطوقان عنقه. ثم ابتعدوا مسافة عنه وطلبوا منه الوقوف.

نهض وهو يرغي ويزبد وينفض جسده عله يتخلص من حمله، لكن خوفه وضيقه ازدادا حين اكتشف أن ذراعي الجثة أخذا يشدان على رقبته بالتدريج، وأن قدميها يضغطان على فخذيه بشدة أكثر من قبل، وأن جهده للتخلص منها سيخفق مثلما قد يخفق جهد حصان لو حاول التخلص من سرجه.

Twitter: @ketab_n

قال لنفسه بعد استسلامه المطلق لليأس: «لقد انتهيت. حياة المجون والعبث التي عشتها هي السبب في سيطرة الجن علي. أقسم بالرب وبمريم وبطرس وبولس وبايترك وبريدجت[1] بأنني سأغيّر حياتي وأعيش باستقامة، وأتزوج الفتاة إن تخلصتُ من هذه المحنة».

رجع الجني اليه وقال: «والآن يا تيج، لقد رفضت حمل الجثة حين طلبت إليك أن تحملها، أترى الآن كيف أجبرتك على حملها؟ وعلى الأرجح أنك سترفض دفنها لو طلبت منك أن تفعل حتى أرغمك على ذلك بالطريقة نفسها».

فرد عليه بتهذيب لم يعهده في نفسه، حيث أعاده الخوف إلى رشده: «أنا في خدمتك وتحت أمر سعادتك».

ضحك الجني ضحكته الخبيثة مرة أخرى وخاطبه قائلاً: «أرى أنك أصبحت أكثر تعقلاً الآن يا تيج، لكنني لم أنتهِ من أمرك بعد. اسمعني جيداً يا تيجوكين وإياك أن تفكر بالتمرد على أوامري لأنني سأجعلك تندم بقوة. أريدك أن تحمل هذه الجثة إلى كنيسة «تيمبول دي موس» وتحفر لها قبراً هناك لتدفنها. عليك أن تقلع بحذر البلاطات التي

(1) باتريك وبريدجت: قديسان آيرلنديان (م).

Twitter: @ketab_n

ستغطي بها القبر ثم تعيدها إلى مكانها مثلما كانت بالضبط. واحرص على ألا تترك آثاراً للتراب على الأرض لكي لا يشك أحد بما فعلت. لكن مهمتك لن تنتهي عند هذا الحد، فقد لا يُسمح للجثة بأن تُدفن هناك، لأن الموضع مُستخدم سابقاً لدفن شخص آخر مثلاً، فإن كان الأمر كذلك فعلى الأغلب سيرفض مشاركة قبره مع جثة أخرى، فإن لم توفّق في دفنها في «تمبول دي موس» عليك بحملها إلى كنيسة «كارك فاد فيك أوروس» ودفنها في الباحة هناك، وإن لم تتمكن من دفنها في ذلك المكان، خذها إلى «تيبول رونان» وإن عجزت أيضاً عن استخدام باحة تلك الكنيسة، خذها إلى «أملوج فادا» وإن فشلت في دفنها هناك أيضاً ليس أمامك سوى حملها إلى «كيل بري ديا» حيث يمكنك دفنها دون أي عائق. ليس بوسعي إخبارك أي من هذه الكنائس سيسمح لك بدفن الجثة، لكن ما أستطيع تأكيده هو أن إحداها على الأقل ستأذن لك، وإن تمكنت من فعل هذا على أكمل وجه فستكون السعادة الدائمة من نصيبك، لكن إن تكاسلت وتباطأت، فثق أننا سنحرمك كل مصدر للهناء والرضا».

Twitter: @ketab_n

حين أنهى الجني العجوز خطبته هلل صحبه ضاحكين مصفقين وصاحوا يشجعونه: «مرحى، مرحى أحسنت». ثم توجهوا لتيجوكين بالقول: «هيا .. هيا .. أسرع بالانطلاق .. بقيت ثماني ساعات لطلوع الضوء، وإن لم تدفن هذا الرجل قبل بزوغ الشمس فسيقضى عليك».

ثم ركلوه بأقدامهم ودفعوه بأيديهم للمضي أمامهم في الطريق، فلم يستطع التخلص منهم وما كان في وسعه إلا المتابعة، دون تمهل.

مشى مفكراً أنه لم يبقَ في كل البلاد طريق وعر لم يقطعه أو درب متعرج زلق وقذر لم يمر فيه تلك الليلة. وحلت أوقات كان الظلام فيها حالك وكلما عبرت غيمة حاجبة ضوء القمر صعبت عليه الرؤية فيكاد يتعثر ويقع عدة مرات، لينجو في بعض الأحيان وفي أحيان كثيرة أخرى كان يصاب بجروح مؤلمة، وفي جميع الأحوال كان مجبراً على النهوض ومتابعة السير. في عدة أوقات ساعده ضوء القمر حين تنقشع الغيوم لينظر خلفه ويتبين أن الجن مازالوا يتبعونه ويسمع أحاديثهم وصياحهم كأنهم سرب من النوارس، ولم يكن بمقدوره التمهل كي يصغي لفهم ما يقولون، لأنه لو فعل فلن ينجو من عقابهم.

Twitter: @ketab_n

ولم يتنبه كم مر عليه من الوقت حتى صاح أحدهم: «توقف هنا». ففعل وتحلقوا من حوله.

خاطبه الجني نفسه قائلاً: «أترى تلك الشجيرات الذابلة هناك؟ كنيسة تيمبول دي موس تقع بينها، وعليك الدخول بمفردك لأننا لا نستطيع مرافقتك، هيا تشجع واذهب».

فتطلع إلى حيث أشار العجوز ورأى جداراً نصف مهدم عن أحد جانبيه، ومن خلفه تظهر كنيسة قديمة رمادية اللون، محاطة بزهاء دزينة من أشجار شاحبة جرداء، تبدو أغصانها العارية معوجة كأنها أذرع بشر غاضبين يشيرون مهددين. ورغم إحساسه بالخوف منه لكنه لم يستطع إلا أن يتابع طريقه باتجاهها.

قطع مئات الأمتار نحو الكنيسة من دون التجرؤ على النظر إلى الخلف حتى وصل بوابتها القديمة، شبه المخلعة، فلم يجد أي صعوبة في الدخول.

التفت ليرى إن كان هناك من تبعه من الجن لكنه لم يستطع تبين أي شيء بسبب عبور غيمة فوق وجه القمر.

Twitter: @ketab_n

اجتاز الممر القديم المعشوشب الذي يؤدي إلى الكنيسة وعندما وصل إليها وجد بابها مقفلاً. وكان ثقيلاً وضخماً فاحتار ماذا يفعل. سحب سكينه من جيبه بصعوبة وحشره في خشب الباب ليتأكد إن كان منخوراً ومن السهل كسره لكنه لم يكن كذلك. قال لنفسه: «لا حيلة لي. الباب مقفل ولا أستطيع فتحه». وقبل اكتمال الفكرة تماماً في رأسه انزلق صوت في أذنه هامساً له: «ابحث عن المفتاح فوق حافة الباب العليا، أو في أحد شقوق الجدار». فتلفت حوله متسائلاً باستغراب: «من يكلمني!».

همس الصوت ثانية في أذنه: «ابحث عن المفتاح فوق حافة الباب العليا.أو في أحد شقوق الجدار».

انهمر صوت تيجوكين مع حبات عرقه بينما تابع سؤاله بقلق: «من هذا؟ من يخاطبني؟».

أجابه الصوت: «أنا الجثة».

فقال: «أيمكنكِ الكلام؟».

ردت الجثة: «طبعاً في كل وقت وحين».

Twitter: @ketab_n

وبالفعل حين بحث تيجوكين عن المفتاح وجده في الجدار. وكان يرتعد خوفاً فلم ينطق بكلمة، فتح الباب على وسعه بأقصى سرعة ودخل حاملاً الجثة على ظهره. ووجد العتمة أشد حلكة في الداخل فتعاظم خوفه وارتعاشه.

قالت الجثة: «أشعل شمعة».

دس يده المرتجفة في جيبه وسحب ولاعة وقدح صوانها فوق خرقة عثر عليها في جيبه. أشعلها ودار حوله في المكان. رأى كنيسة قديمة بجدار نصف مهدم، شبابيكها محطمة ومقاعدها مغطاة بالعطن. ولمح ستة أو سبعة شمعدانات معدنية، في إحداها بقايا شمعة قام بإشعالها على الفور.

وبينما يتلفت حوله، سمع همسات الجثة تتكرر في أذنه: «ادفني الآن، ادفني الآن، ها هي مجرفة بالقرب منك انكش بها قبري».

فحمل المجرفة وأدخل شفرتها تحت إحدى بلاطات القبر الذي كان يتوسط الممر، ثم انحنى بكل ثقله على ذراعها ليتمكن من رفعها. وبعد انتهائه من تلك البلاطة الأولى لم يصعب عليه رفع البقية.

Twitter: @ketab_n

رفع عدة بلاطات من أماكنها ووجد أن الطين الذي تحتها ما زال طرياً ومن السهل نكشه.

ولم يكن قد جرف الكثير من التربة حتى أحس بالشفرة تلامس شيئاً لدناً كأنه لحم بشري.

لكنه تابع الجرف ليفاجأ بوجود جسد آخر مدفون في المكان نفسه.

قال في نفسه: «أخشى أنه لا يمكنني دفن جثتين في حفرة واحدة».

ثم خاطب الجثة يسألها: «هيه أنت أيتها الجثة على ظهري، أتقبلين أن أدفنك هنا؟».

وعندما لم تجبه قال: «هذا مؤشر حسن، فالسكوت علامة الرضا». وتابع الحفر.

لكنه على الأرجح قد آذى بضربات مجرفته لحم الجثة التي كانت موجودة من قبل في ذلك المكان لأنها وقفت فجأة وبدأت تصرخ: «هووو..هووو..هووو اذهب..اذهب.. اذهب من هنا وإلا كان جزاؤك الموت». ثم بعد أن صمتت عادت إلى قبرها.

Twitter: @ketab_n

بينما انتصب شعر رأس تيجوكين كخنزير بري وغطى العرق البارد وجهه واعترت عظامه رجفة حتى خال أنه سيهوي أرضاً (زعم فيما بعد أن ما فعلته تلك الجثة بالذات كان من أكثر ما مر عليه من أشياء مرعبة في تلك الليلة).

لكن بعد مضي بعض الوقت فارقه خوفه عندما رآها قد سكنت في مكانها، فأهال الطين عليها ومهده فوقها، ثم رصف البلاطات بحذر مثلما كانت من قبل، وقال مطمئناً نفسه: «لا يمكنها النهوض مرة أخرى». ثم ابتعد خطوات عدة في الممر وبدأ يرفع البلاطات القريبة من عتبة الباب عله يجد مكاناً ملائماً أكثر لدفن الجثة. فسحب ثلاث أو أربع بلاطات ووضعها جانباً، ثم نكش الطين تحتها. وقبل أن يتمكن من الحفر طويلاً، فاجأه ظهور امرأة عارية تماماً إلا من قميص رقيق يغطي جسدها. كانت تبدو أكثر حياة من رفيقتها السابقة. فما كاد يجرف بعض الطين من فوقها، حتى جلست في مكانها وشرعت تصرخ قائلة: «هووو.. يا لك من مهرج تافه، من أين جاء هذا الميت الذي لا قبر له؟».

فتراجع المسكين إلى الخلف، وعندما يئست جثة المرأة من الحصول على جواب يشفي غليلها انزلقت ببطء وهدوء في

Twitter: @ketab_n

الطين. فقام بردمها مثلما فعل مع جثة الرجل. ثم عاود الحفر بالقرب من الباب وكان قد أهال بعض التراب حين لمح يداً ترتفع من التراب وتقبض على ذراع المجرفة، فقال بجزع: «أقسم بروحي أنني سأتوقف، لا فائدة من الحفر هنا؟».

وهكذا أهال التراب فوق الحفرة التي لم تكتمل وجر البلاطات وغطاها وأعادها تماماً مثلما كانت من قبل. وقرر مغادرة تلك الكنيسة، فأقفل الباب وأعاد المفتاح إلى مكانه وجلس في الخارج على حجر قرب العتبة. كان محتاراً ومنشغل البال بما عليه أن يفعل. فوضع وجهه بين كفيه وأجهش باكياً من التعب والحزن يائساً من إمكانية عودته للبيت سالماً وتخلصه من هذه المحنة الملقاة على ظهره. وقد حاول فك ذراعي الجثة عن عنقه لكنه فشل إذ كانتا قويتين وثابتتين كأنهما من حديد، وكلما بذل جهداً أكبر، شدتا على عنقه أكثر. أخيراً استسلم وقرر الجلوس، فجاءه صوت الجثة مرعباً بارداً، يقول: «تابع طريقك». تذكر أوامر الجن بأن عليه عدم ترك الجثة إلا إذا تمكن من دفنها فوقف متسائلاً: «لكني لا أعرف في أي اتجاه عليّ أن أمضي الآن!». وبمجرد لفظه هذه الكلمات مدّت الجثة يدها اليسرى التي كانت لا تزال حتى تلك اللحظة مطوقة

Twitter: @ketab_n

عنقه، وأشارت بها نحو الطريق الذي عليه أن يسلكه. فسار في ذلك الاتجاه عابراً باحة الكنيسة إلى أن وصل إلى درب قديم مرصوف بالحجارة، فوقف هناك بلا حراك.

مدت الجثة يدها المتخشبة مرة أخرى وأشارت عليه باتباع درب مختلف عن الذي سلكه في أول مرة حين وصوله لتلك الكنيسة المهدمة. فتبع الطريق المشار إليه وكلما صادف تقاطعاً أو ممراً ضيقاً مؤدياً إليها، كانت الجثة تمد يدها وتشير عليه بالاتجاه الذي يجب أن يختاره.

هبط منحدرات كثيرة وقطع دروباً متعرجة أكثر، حتى رأى مقبرة تمتد إلى جانب الطريق التي يسير عليها لكنه لم يرَ كنيسة أو أي بناء في داخلها. أرغمه ضغط الجثة المؤلم على التوقف هناك، وسمعها تقول: «ادفني. ادفني في هذه المقبرة».

فاستدار نحو المقبرة وهمّ بدخولها حين لمح فجأة المئات من الأشباح، رجالاً ونساء وأطفالاً، متكئين على سور باحتها المستديرة أو واقفين في داخلها أو متراكضين للخلف وللأمام، ومشيرين جميعاً باتجاهه وقد استطاع تمييز شفاههم بوضوح وهي تتحرك كأنها تنطق بشيء ما، لكنه لم يسمع حرفاً واحداً.

Twitter: @ketab_n

خاف من التقدم فبقي متسمراً في مكانه وعندما فعل توقفت الأشباح تماماً عن الحركة، ففهم أنها تحاول إبعاده عن المكان ومنعه من التقدم. جرّب السير لبضع خطوات أخرى فاندفع حشد الأشباح بأسره نحو النقطة التي كان يتحرك نحوها، ووقفوا متراصفين هناك، فبدا له أن من المستحيل تفريقهم حتى ولو عزم على ذلك، لكنه لم يكن يرغب أصلاً بأن يفعل.

ابتعد عن تلك المقبرة يائساً ثم توقف على بعد مئات الأمتار منها، محتاراً مرة أخرى أين يمضي.

ومرة أخرى سمع صوت الجثة في أذنه يردد: «تيمبول رونان» ورأى يدها تمتد، مشيرة له نحو الطريق. ورغم إنهاكه وطول المسافة لكن تحتّم عليه متابعة المشي الذي ازداد صعوبة في ليلة بدت من أشد الليالي عتمة. وبعد الكثير من العثرات والجروح تمكن من رؤية كنيسة «تيمبول رونان» تنتصب في باحة مقبرة تنتشر على مقربة منه. تقدم باتجاهها وهو يحس بالأمان والراحة لعدم رؤية أي أشباح في المكان، آملاً في أن تكون تلك المقبرة الموضع الذي سيريحه أخيراً من حمله. اتجه إلى البوابة، وفي الطريق تعثر ووقع على العتبة. وقبل أن يتمكن من تمالك نفسه والنهوض، انقض عليه شيء غامض فهزه واعتصره وحاول خنقه

Twitter: @ketab_n

وجرحه وخمشه في كل بقعة من جسمه حتى أوشك على الموت. حمله ذلك الشيء بعدها، وسار به مئات الأمتار ورماه مع الجثة التي مازالت متشبثة بظهره في خندق قديم. فنهض متأوهاً خائفاً من العودة إلى حيث كان، لأنه لم يستطع فهم ما حدث له ومن حمله وألقى به. وقرر أن يسأل رأي الجثة فقال: «هيه أنت أيتها الجثة على ظهري، هل عليّ الرجوع إلى باحة الكنيسة؟».

وحين لم تجبه قال: «صمتك علامة على أنك لا تشيرين علي بذلك». حسمت الجثة تردده حين قالت: «انطلق إلى أملوج فادا».

فرد ممتعضاً: «اللعنة، أعليّ أخذك معي أيضاً؟ إن بقيتِ تجبرينني على السير هكذا فسأنهار من التعب لا محالة». لكنه تابع التقدم في الاتجاه الذي أشارت إليه الجثة، حتى وصل إلى جدار منخفض جداً يكاد يلامس الأرض من جوانبه الأكثر تهدماً، يقع في حقل واسع إلى جانب الطريق وباستثناء عدة أحجار تظهر للقادم من بعيد لا دليل على وجود مقبرة بالقرب.

سأل الجثة: «أهناك تقع أملوج فادا؟ أأدفنكِ هنا؟».

أجابته: «نعم».

Twitter: @ketab_n

«لكني لا أرى أي قبور، ليس هناك سوى فقط الكومة من الحجارة».

لم تجبه الجثة، مدت يدها المتخشبة فقط لتريه أين عليه أن يمضي. وبناء عليه تابع تحركه لكن خوفه كان عظيماً حين تذكر ما حدث له في آخر مقبرة. مشى ممسكاً قلبه بيده (كما وصف إحساسه فيما بعد) وحين وصل على بعد عشرين أو ثلاثين متراً من الجدار المنخفض، لمح شعاعاً من ضوء أصفر وأحمر، موشى ببعض الزرقة، يعبر فوق الجدار باتجاه واحد، ثم يختفي بسرعة كأن الغيوم تبتلعه. وكلما أطال التحديق فيه، توارى واختفى بسرعة أكبر، حتى أخذ في النهاية شكل حلقة من لهب تحيط بسور المقبرة القديمة، فلا يمكن لأحد دخولها من دون أن يحترق.

فشعر وهو يراقبه أنه لم يُقدّر له منذ ولادته وحتى تلك اللحظة رؤية ما هو أجمل وأبدع وأغرب منظراً من ذلك. فقد كان اللهب خلال عبوره السريع يبدل لونه من الأصفر الى الأبيض إلى الأزرق. كما يبدل حجمه من مجرد خيط رفيع، الى حزمة عريضة ضخمة تتسع وترتفع بالتدريج ملقية هنا وهناك بالمزيد من الشهب المتلألئة الغنية بكل ألوان الأرض.

Twitter: @ketab_n

ودفعه جمال المنظر بالإضافة لإعيائه لأخذ استراحة فجلس على حجر هناك. ولم يكن في وسعه رؤية أي شيء من موضعه سوى ذلك الضوء الأخاذ ولا سماع أي صوت سوى صوت انسحابه السريع كأنه البرق. وخلال جلوسه، همس له صوت الجثة ثانية: «انطلق إلى كيل بري ديا» ثم شدت عليه لدرجة جعلته يصرخ من الألم. فنهض بتثاقل، كأنه مريض يرتجف، وانطلق نحو الأمام كما كان مقرراً له. وبدا واضحاً أنه قد يقع ميتاً في أقرب وقت إن توجب عليه المضي لمسافة أطول في الطريق التي تزداد وعورة، بالإضافة للرياح التي تهب قارسة في وجهه، والظلام الحالك الذي يمنعه من الرؤية، والأنكى من هذا كله، حمله الرهيب الذي يثقل كاهله.

أخيراً مدت الجثة يدها وقالت له: «ادفني هناك».

فقال في نفسه: «ربما تكون هذه آخر مقبرة عليّ تجريبها حسب كلام الجنيّ. نعم أعتقد أن قدر هذه الجثة أن تدفن هنا».

بدأت أولى خيوط الفجر تتسلل من الشرق والغيوم تصطبغ أهدابها بالحمرة لكن الظلام استمرّ كثيفاً حيث لا قمر ولا نجوم. اندفعت الجثة تقول: «أسرع، أسرع».

Twitter: @ketab_n

فانطلق بأقصى سرعته نحو الباحة التي لم تكن سوى حيز ضيق فوق هضبة عارية لا تحوي سوى عدد ضئيل من القبور. تمكن من عبور البوابة بجسارة من دون أن يعترض طريقه شيء. اتجه إلى وسط المقبرة ونظر حوله باحثاً عن مجرفة أو أي أداة يمكنه استخدامها لحفر القبر وخلال ذلك انتبه لآثار حفرة متروكة في الموضع نفسه، لم يمض على وجودها زمن طويل. اقترب منها وحدق في أسفلها فرأى تابوتاً أسود. انحنى في الحفرة ورفع الغطاء فوجد (مثلما ظن) التابوت فارغاً. ولم يكد يقف على حافة الحفرة في طريقه للابتعاد عنها حتى أحس أن يدي الجثة وقدميها التي كانت تتشبث به وتعتصره لأكثر من ثماني ساعات متواصلة، استرخت فجأة وتهدلت ثم انزلقت مع صاحبتها في ذلك التابوت.

فركع على حافة القبر وصلى لله وشكره. ثم ومن دون أي تأخير أحكم إغلاق الغطاء فوق الكفن وأهال فوقه التراب بيديه، وعندما امتلأت الحفرة تماماً أخذ يدوس على التراب ويمهده حتى تأكد من صلابته وثباته، ثم غادر المكان. وبانتهاء عمله طلعت الشمس فكان أول ما فعله هو العودة للطريق، باحثاً عن مكان يستريح فيه. فوجد فندقاً صغيراً استلقى على

Twitter: @ketab_n

سرير فيه ونام حتى المساء. بعدئذ أفاق وأكل قليلاً ثم نام حتى الصباح. ثم استأجر فرساً امتطاها إلى بيته.

وهكذا كان تيجوكين قد ابتعد عن بيته مسافة أطول من ستة وعشرين ميلاً وهي الطريق التي قطعها كلها في إحدى الليالي بجثة ثقيلة على ظهره. وفي البيت ساد الاعتقاد أن سبب غيابه هو مغادرته البلاد، لذلك حين رأوه هللوا واحتفلوا بمجيئه. ولم يبقّ أحد لم يسأله أين كان، لكنه قرر ألا يخبر أحداً إلا أباه.

غدا تيجو كين بعد ذلك اليوم رجلاً آخر. فلم يعد يكثر من شرب الخمر ولعب القمار وكذلك لم يعد تسكع طويلاً خارج البيت أو يرجع متأخراً بعد منتصف الليل. ولم يمضِ على عودته أكثر من أسبوعين، حتى تزوج من ماري، الفتاة التي كان يحبها، وفي عرسه رقص بسعادة لم تفارقه منذ ذلك اليوم. وكم آمل لنفسي ولكم بسعادة مماثلة.

Twitter: @ketab_n

زوجة بادي كوركوران
وليم كارلتون

عانت زوجة بادي كوركوران على مدار عدة سنوات، من أعراض غريبة لم يتمكن أحد من فهمها أو معرفة ماهيتها بالضبط. فهي تبدو عليلة وليست كذلك في آن معاً. وما كان يعذب زوجها بادي هو اعتقاده بوجود ثقب في قلبها، فظن أن الغذاء الجيد كفيل بعلاجها، وخاصة قليلاً من اللحم. لكن لم يكن لدى المسكينة أي شهية تذكر. فلا رغبة لديها مثلاً لتذوق شريحة من لحم الخروف أو العجل أو أيٍ من أنواع اللحم. بل لم تكن تشتهي شيئاً من الطعام على الإطلاق، حتى لو اقتصر على قطعة من الخبز ورشفة من اللبن. أما عزاء بادي الوحيد، فكان إحساسه بأنها ستفارقه قريباً، ولن يطول عناءه معها للأبد، فما أهمية ما ستأكله إذن؟ وأما من ناحيتها هي، فكانت تعرف تمام المعرفة أنها لو قبلت بتناول قليل من اللحم بين الحين والآخر، لساعد ذلك على شفائها، وإن لم ينصحها زوجها فمن غيره سيفعل، لكن ما باليد حيلة. وهكذا ظلت طريحة الفراش لمدة طويلة، بعد أن لجأت

Twitter: @ketab_n

لجميع الأطباء والمشعوذين بكل أنواعهم وأجناسهم من دون جدوى، حتى كاد بادي المسكين يشقى من الإفلاس والجوع والهم، ليؤمن لها ولو قليلاً من الطعام.

وبقيّت على تلك الحال سبعة أعوام. وفي أحد أيام الحصاد، وكانت كعادتها ممدة في فراشها، تنوح وتتحسّر راثية حالها، خرجت لها جنيّة من موقد المطبخ، مرتدية ثوباً مزخرفاً بنقوش حمراء أنيقة، واقتربت لتجلس إلى جانبها وأخذت تحدثها قائلة: «حسناً يا كيتي كوركوران، ها أنت تستلقين على ظهرك منذ عدة سنوات لكن الأمل في شفائك يتضاءل يوماً بعد يوم».

فأجابتها كيتي: «معك حق. فهذا تماماً ما يقلقني ويثير حزني في هذه اللحظة».

«لكن العلاج في يدك أنت بالذات، فلولا تصرفاتك لما كنت تعانين من هذه الحال».

أجابت كيتي: «أف، كيف؟ لن أفضل البقاء في الفراش بكل تأكيد لو كنت أقوى على مغادرته! أتعتقدين أنني سعيدة وراضية بحالتي؟».

Twitter: @ketab_n

ردت الجنية: «لا، لا أظن بأنك سعيدة وراضية، لكنني سأصارحك بالحقيقة، لقد كنتِ مصدر إزعاج لنا طوال هذه السنوات السبع، فأنا واحدة من الجن ولأنني أُكنّ لكِ احتراماً خاصاً، فقد قررت إخبارك عن سبب مرضك. إن لك ابناً يرمي علينا ماءً قذراً كلما عبرنا صباحاً ومساءً من أمام بيتكم. إن استطعت تجنّب هذا، كأن تطلبي منه رمي الماء المتسخ في مكان آخر مثلاً، وخلال أوقات مختلفة من اليوم أيضاً، فسوف تفارقك أعراض المرض وتزول العلة من قلبك. وإن لم تنفّذي توصياتي فستبقين كما أنتِ، ولن تسعفك كل فنون الأرض وحيّلها».

قالت الجينة ذلك ثم ودعتها واختفت. وفي الحال هرعت كيتي بفرح وحماس لتنفيذ وصيتها، وبالفعل فقد أفاقت في صباح اليوم التالي لتجد نفسها تنعم بنشاط وحيوية لم تعرفهما طوال حياتها من قبل.

Twitter: @ketab_n

كوشين لو

ترجمها عن الآيرلندية: جيرميا جوزيف كالانان

(من المفترض أن من تنشد هذه الأغنية عروس شابة سُجنت في إحدى القلاع[1] التي كانت منتشرة بكثرة في آيرلندا، وعادة ما يلجأ إليها الجن كمكان مفضل لإقامتهم. والمقصود منها رسالة استغاثة تبعث بها السجينة لزوجها، عبر امرأة كانت تمر بالجوار، تطلبُ منه الحضور مع سكّين سحريّة كي يخلّصها من حبائل سّحر الجن. ولتتمكن من إيصال رسالتها دون إثارة الشكوك، كان عليها التظاهر بأنها ترّنيمة أم لطفلها كي ينام).

نَم يا صغيري

نَم، فأنفاس الصيف تراقص الشجر،

وألحان الجنيّات العذبة تحوم حولنا.

نَم يا صغيري

---

(1) قلعة تتوسط حقلاً حيث (حسب زعم الأساطير) لو حفرت في الأرض ستصل إلى قاعة حجرية يلجأ إليها الجن في الشتاء ويدفنون فيها أيضاً عند موتهم. في أثناء الربيع والصيف يرعون قطعانهم في الحقول الممتدة حولها. ومن يرعى هناك من الفلاحين عن طريق الصدفة أو الخطأ يتعرض قطيعه للموت أو المرض. وتقول الأسطورة إن الجن يحتفظون في القاعة الحجرية بسهام يستخدمونها في حالة غضبهم ضد البشر أو الحيوانات (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

نَم، فالزهور حزينة تهطل دموعها على رأسك

وصوت الحب يهدهدك حتى تغفو.

وسادتك صدر أمك

فنم يا صغيري.

في قصرٍ قاعاته فارهة مزينة بالهواء والضوء،

و جدرانه تغني بسعادة،

هناك متعبة وحيدة، أقضي وقتي.

نَم يا صغيري نَم

تحت قُبته الفخمة كم من عروس وعذراء محبوسة.

والخادمات عجائزٌ أحنى الدهر ظهورهن.

نَم يا صغيري نَم

آه .. أنت يا من تسمع أغنيتي الخائفة،

احمل للبيت أخباري البائسة

ليأتي مخلّصي بسكينه المسحورة،

Twitter: @ketab_n

وبلمعة واحدة من حدّها البتّار،

تزول عني لعنتي،

وتصبح حرّيتي رهن يدي

أسرع

غداً تتجدّد لعنتي بطلوع الشمس

ومن جديد يتأكد حبسي هنا

غداً ما لم يأتِ مخلصيّ

فسيموت قلبي في هذا القصر

نم يا صغيري نم

فأنفاس الصيف تراقص الشجر

وألحان الجنيّات العذبة تحوم حولنا.

Twitter: @ketab_n

سمكة السلمون البيضاء[1]

أسطورة من الكونغ[2]

صموئيل لوفر

يُحكى أن شابة جميلة كانت تعيش في قلعة على مرتفع خلف بحيرة، وقيل إنها كانت مخطوبة لابن الملك. وقبل العرس بوقت قصير قُتل خطيبها على يد مخلوق مرعب، وأُلقي في مياه تلك البحيرة المجاورة للقلعة. ومن المؤسف طبعاً أنه لم يعد بإمكان العريس الميت الإيفاء بوعد الزواج من تلك الحسناء.

وتزعم الحكاية أن المسكينة، وبسبب رقتها المفرطة، أصيبت بالجنون حزناً على خسارة خطيبها ابن الملك، كما اشتد نحولها لدرجة لم يعد أحد، خيّراً كان أم شريراً، بقادر على رؤيتها، حتى جاء يوم وخُطفت من قبل الجن، الذين أخفوها بعيداً عن كل العيون. كان الله حقاً في عونها وعوننا جميعاً.

وبعد مدة، ظهرت فجأة سمكة سلمون بيضاء في البحيرة، واحتار الناس في أمرها واندهشوا من أن أحداً لم يسمع بوجودها من قبل، مع العلم أنها كانت تسبح في المكان نفسه على مدار

---

(1) Trout التروتة: السلمون الأبيض المرقط عند جوانبه بالأحمر (م).

(2) في مقاطعة مايو في غرب آيرلندا (م).

Twitter: @ketab_n

سنوات عديدة، مثلما هي تسبح الآن في هذه اللحظة المباركة. وفي النهاية ظنها الناس جنية. فما يمكنها أن تكون حقاً؟

ولم يُسمع أنها تسببت يوماً بأذى لأي مخلوق كان، حتى وصول فرقة من الجنود الخبثاء لتلك المنطقة، ساخرين من سذاجة الناس، وانخداعهم بطيبة تلك السمكة، وأقسم أحدهم على اصطيادها وتناولها على العشاء (لعنه الله).

حسناً ما رأيكم بمخلوق حقير كهذا؟

وقد قام فعلاً باصطيادها وأخذها إلى بيته ثم وضعها في مقلاة وأشعل تحتها النار. وعندما صرخت السمكة من شدة الألم– ماذا تتوقعون من خسيس مثله أن يفعل؟ انفجر بضحك مجنون. وحين اعتقد بأنه انتهى من طهي ذلك الجانب قام بقلبها. وماذا تظنونه سيجد؟ لم يبدُ على السمكة أنها لامست النار لا من بعيد ولا من قريب. ومن المؤكد أن الخبيث عزا ذلك لكونها سمكة مفلطحة ففكر بضرورة تقليبها عدة مرات حتى تنضج جيداً، ولم يتنبه الأحمق لما كان في انتظاره. لكنه كلما قلّبها أكثر، وجد أن جانب السمكة الملامس للمقلاة ما زال نيئاً، كأن النار لم تطاوله بتاتاً، حتى صرخ قائلاً: «اللعنة، لكنني لن أيأس منكِ يا عزيزتي وسأكون أكثر خبثاً منكِ». وهكذا تابع تقليبها من

Twitter: @ketab_n

دون أن يطرأ عليها أي تغيير يُذكر، فقال النذل بيأس: «حسناً يا سمكتي الصغيرة السعيدة، ربما لا يبدو عليك النضج، لكنك قد نضجتِ، وربما طعمكِ سيكون أفضل من منظركِ».

وهمّ بتذوق قطعة منها، لكن ما إن غرس سكينه في لحمها، حتى انبعث منها زعيق مهلك ومخيف كدنوّ الموت، وقفزت من المقلاة إلى وسط الغرفة، ومن الموضع الذي سقطت فيه، نهضت شابة في غاية الجمال والروعة مرتدية ثوباً أبيضَ وشريطة من ذهب تزين شعرها، وقد كانت إحدى ذراعيها تنزف دماً غزيراً. مدت ذراعها المصابة نحوه وخاطبته قائلة: «انظر أين جرحتني يا جبان!». فحدق في الجرح مفكراً أن المنظر لن يفارق ذاكرته. ثم تابعت قائلة له: «ألم يكن بمقدورك تركي آمنة مطمئنة في النهر حيث لمحتني أثناء تأديتي لواجبي؟».

فاضطرب لسماع كلماتها مثل كلب مبلل، وتأتأ بصعوبة يستغفرها ويحاول إقناعها بأنه لم يعلم أنها كانت تؤدي واجبها حين اصطادها، وإلا لكان امتنع عن إزعاجها كأي جندي حسن التربية. فردت قائلة: «كنت أؤدي واجبي كما أخبرتك فعليّ مراقبة حبيبي حين سيأتي سابحاً نحوي، وإن علمت بأنه جاء أثناء غيابي ولم ألقه بسببك، فسأمسخك إلى كائن صغير تافه، وأطاردك أينما ذهبتَ في طول النهر وعرضه، طالما هناك عشب ينمو وماء يجري».

Twitter: @ketab_n

أرعبته فكرة تحوله لمجرد كائن صغير، فتوسل إليها طالباً الرحمة والصفح، حتى قالت: «توقف عن أفعالك الشريرة أيها الوغد وإلا فستندم حين لا ينفعك الندم. كن طيباً في المستقبل واجلس في الحال لتأدية واجبك في الاعتراف بذنبك ثم أرجعني إلى النهر من حيث جلبتني».

فأجابها بحسرة: «آه يا سيدتي كيف سأمتلك الجرأة لأُغرق شابة في مثل جمالك!». وقبل أن يضيف كلمة أخرى اختفت الشابة ورأى مكانها سمكة السلمون البيضاء ممددة على الأرض. فقام بوضعها على الفور في طبق نظيف، واندفع مسرعاً كي ينقذ روحه، فلو جاء حبيبها أثناء غيابها لخسر حياته. ركض طويلاً حتى وصل إلى النهر ورماها فيه. وفي اللحظة عينها اصطبغ الماء بالدم، ربما بسبب ذلك الجرح في ذراع الشابة الذي هو أحد جوانب السمكة البيضاء. ومن وقتها تحوّل الجندي إلى رجل آخر. وأصلح من سلوكه وانتظم في خدمته، فصار يصوم ثلاثة أيام في الأسبوع، وامتنع تماماً عن أكل السمك في جميع الأيام بعد كل ما عاناه من خوف. وبعد وقت ترك الخدمة العسكرية وأصبح ناسكاً، ويقال أنه لم يتوقف يوماً منذ ذلك الحين عن الصلاة والدعاء لروح سمكة السلمون البيضاء.

Twitter: @ketab_n

زعرور الجن

أغنية المعطف الفضفاض[1]

صموئيل فيرجسون

«انهضي أيتها الحبيبة آنا، واتركي مغزلك المرهق

لن يكشف أحد سِرّكِ،

فوالدك فوق الهضبة يمشي، وأمك نائمة

تعالي نصعد الصخور لنرقص رقصة «الريل»[2] المحببة

ندور حول زعرور الجن في المنحدر».

هكذا صاحت الصبايا عند باب آنا غريس.

ثلاثةٌ منهن تجمعّن هناك بأثوابهن الخضر

ولم يسع آنا إلا تلبية النداء.

ألقت بمغزلها وذهبت معهن، آنا تلك، أجملهن على الإطلاق

---

(1) اليولستر: معطف فضفاض ذي أكمام متسعة وقماش خشن وعادة ما يكون له حزام على ظهره. اشتهر أصلاً في آيرلندا (م).

(2) reel اسم رقصة مشهورة في آيرلندا واسكوتلندا (م).

Twitter: @ketab_n

في ضوء المساء الناعم، مشين يبرقن بالنظرات

مبتعدات كأمواج حليبٍ من بياض أقدامهن وأعناقهن العارية

هبطّن المنحدرات بهوائها الطيفيّ

وأغنيات الماء في وديانها.

يداً بيد منشدات، على طول الدرب مشين بلا خوف،

وعند شجيرات «الروان»[1] الجميلة، وصلن.

إلى جانب الزعرور المنتصب وسط الخرائب

نحيلة وطويلة كانت تلك الأشجار

كعجوزٍ تخبئ حفيدتيها الصغيرتين بين ركبتيها،

حفيدتاها شجرتا الروان،

وتنحني بثمارها الحمراء

كأنها تطبع قُبلاتٍ من عسل على خديهما.

(1) Rowan غبيراء الحابلين (نبات).

Twitter: @ketab_n

الصبايا الأربع المرحات نسقّن الأغصان بينهن،

فتركن غصناً بين كل اثنتين منهن

وانطلقن متراكضات في كل الجهات كأمواج متاهة

أو طيور متقافزة لا مثيل لروعتها

وكم كان مهيباً ذلك الصمت الفضيّ للضباب الرقيق،

حين شرب أصواتهن وحملها بعيداً، دون صدى

والنسيم المسحور تجمّد في المساء كأنه حلم طويل

والغسق توارى في الخيال أكثر

فهكذا كن غارقات

كألحان قُبرةٍ[1] تسقط من السماء

حين امتد ظل الصقر مبحراً فوق الرابية

مُسكتاً بصوته صوتهن

وكلما ازداد اقتراباً من اليابسة

(1) القُبرة: نوع من الطيور (م).

Twitter: @ketab_n

ازددن ارتياعاً.

من الهواء المرتفع فوقهن،

ومن الأرض المعشوشبة تحت أقدامهن

من خرائب الجبال وزهور الأكاسيا البيضاء وسطها

سبحت موجة من سحر يخطف الأنفاس

غاصت الصبايا بين العشب

وبصمت وحذر اختبأن متلاصقات ببعضهن

طوّحن بأذرعهن العارية الفاتنة فوق أعناقهن المحنية

وعبثاً حاولن ستر أنفسهن

وهكذا منبطحاتٍ محنيات الرؤوس بقين

والصوت البشري الوحيد الذي سمعنه

جاء من خطوات الحرير لثلة الجن العابرين

مثل نهر في الهواء داروا منزلقين.

حين رأين آنا غريس مسحوبةً نحو البعيد،

Twitter: @ketab_n

بلا صرخة أو صلاة واحدة، أمضى الثلاث تلك اللحظة

لم يجرؤن حتى على النظر ليعرفن من سحبها

بآهات رعبهنّ وحدها ودّعنها

وأحسسن كيف امتزج شَعرهن

بخصلاتها الذهبية الراحلة

وكيف سقطت على الأرض شريطة شعرها

حين انزلقت ذراعها من بين أذرعهن

لكنهن خشين الالتفات لمعرفة السبب،

فالتعويذة السحرية أعمت أبصارهن

ولم يستطع خوفهن ولا استطاعت دهشتهن

إجبارهن على النظر

أو تخليص أطرافهن من الخدر

فبقين بالتراب ملتصقات

ثم بدأ الكون يفرش ستارة الندى في تلك الليلة،

Twitter: @ketab_n

على كل جبل مسكون في الأعلى،

أو وادٍ يجري في الأسفل

وحين ذاب الضباب في موجة الصباح الصفراء

فارق الفزع صدور الصبايا الثلاث

ومن غشوتهن أفقن

وطرن شاحباتٍ

ليروين للناس حكايتهن المحزنة

وبمضي سنةٍ ويومٍ، مُتنّ من همّهن

ويم ير أحد آنا غريس، من بعدها.

Twitter: @ketab_n

أسطورة نوك جرافتون

توماس كروفتون كروكر

عاش على السفوح السفلى لجبال «جالتي» المظلمة، وفي الوادي الخصب المنعزل لجبال «أهيرلو»، رجل فقير مسكين، وكان له حدبة واضحة على ظهره، جعلته يبدو دائماً كمن يحمل جسده كاملاً مطوياً بين كتفيه. وكانت من الثقل بحيث يضطر أحياناً لإسناد ذقنه على ركبتيه حين يجلس. وقد جعلت منه تلك الحدبة شخصاً يتحاشاه أهل قريته خجلاً من مواجهته. ورغم كونه شديد الطيبة ومسالماً كطفل رضيع، إلا أن هيئته المشوهة كانت مثيرة للرعب حتى لتظنه ليس بآدمي.

وقد دفع مظهره الغريب بعض الناس من ضيقي الأفق، لنشر الشائعات حوله فزعموا أنه مشعوذ يمتلك خبرة بطب الأعشاب والتعاويذ السحرية. لكنه في الحقيقة كان مجرد رجل بسيط برع في جدل القش وتحويله لقبعات وسلال بديعة، ومن هذه الصنعة يعتاش. وربما لاعتياده ارتداء قبعة الجن المجدولة من أغصان اللسمور[1]، أطلق عليه الناس لقب لسمور، أو ربما لتقاضيه فلساً

---

(1) نبات قفاز الثعلب الذي عرف عنه أن الجن يجدلون من أغصانه قبعاتهم في الحكايات الشعبية (م).

Twitter: @ketab_n

إضافياً لقاء قبعاته، على نقيض جميع زملائه في المهنة، مما جعل أحدهم يلقبه بهذا اللقب، وأثار غيرة زملائه الذين ساهموا في نسج تلك الشائعات الشريرة حوله. وعلى أي حال فقد كان لسمور عائداً في أحد المساءات من بلدة «كاهير» الجميلة إلى بلدة «كاباج»، متقدماً ببطء بسبب صغر حجمه وثقل الحدبة فوق ظهره، ومع حلول الظلام وصل قرب خندق «نوك جرافتون». كان متعباً ومهدود الحيل، منشغلاً بالتفكير بالمسافة التي عليه اجتيازها، وإذ كان عليه أن يقضي ليلته سائراً حتى يصل وهو الرجل الضئيل الجسم بتلك الحدبة التي تعيق حركته، فاتكأ على جانب الخندق ليستريح ويلتقط أنفاسه، ثم أخذ يتأمل القمر متذكراً وصفاً عنه يقول:

«طالع بجلال مكلل بالغيوم،

كملك[1] ينشر سناه البهي

وعلى العتمة يرمي شاله الفضي».

وفي الحال سمع لحناً، بدا لأذنيه برياً غريباً كأنه آت من عالم آخر. أصاخ السمع، مفكراً أنه لم يسمع في حياته موسيقى أكثر

(1) القمر بالإنجليزية مؤنث ولذلك فالتشبيه في الأصل بالملكة لكن جرى استبداله بالملك بما أن القمر مذكر بالعربية (م).

Twitter: @ketab_n

فتنة من تلك الموسيقى، فقد كانت مزيجاً من عدة أصوات متداخلة بتناغم حتى لتبدو صوتاً واحداً منسجماً رغم أن لكل واحد منها نبرته الخاصة وكانت الأغنية تقول: «دا لوان، دامورت، دا لوان، دامورت، دا لوان، دامورت». ثم تأتي لحظة صمت لتنطلق بعدها هذه اللازمة مرة أخرى وهكذا.

حاول لسمور الإصغاء بكل انتباه حابساً أنفاسه حتى لا تفوته كلمة أو نغمة واحدة، وقد تأكد أن الغناء ينبعث من الخندق. ورغم أن الأغنية سحرته في البداية، لكن سرعان ما أحس بالملل والتعب بعد مدة، حين تكررت اللازمة دونما تغيير إلى ما لا نهاية. فاستغل فرصة التوقف القصيرة التي تتبعها، وأخذ كلمات الأغنية نفسها ثم أضاف إليها في كل مرة «آوجوس دا دردين» متابعاً الغناء مع الأصوات الآتية من الخندق: «دا لوان دامورت، دالوان دامورت، دالوان دامورت» منهياً اللحن كلما صمتت الأصوات بجملة: «آوجوس دا داردين»[1].

سُر الجن في خندق «نوك جرفتون» لسماع إضافته التي أدخلها على أغنيتهم، وفكروا أنها فرصتهم السانحة للاستفادة

(1) دا لوان دا مورت تعني يومي الاثنين والثلاثاء في لغة الغال (لغة محكية في اسكوتلندا جلبت أصلاً في القرن الخامس والسادس ميلادي من آيرلندا) ودا لوان دامورت اوجوس دا داردين تصبح «الاثنين والثلاثاء والأربعاء أيضاً» (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

من قـدرات الجنس البشري في الموسيقى والتي طالما فاقت قدراتهم، ولهذا رحبوا برفقته وضموه لكورسهم على الفور.

ويا للمنظر الرائع الذي سطع أمام ناظريه، حين أدخله الجن في الخندق وجعلوه يلفّ ويدور بخفة قشة على أنغام أمتع الألحان وأجملها، حتى نسي مرور الوقت. ثم كيف رحبّوا به أحسن ترحيب وأكرموه وعيّنوا له خدماً يشرفون على تلبية طلباته ويسهرون على راحته، وباختصار فقد عاملوه بتبجيل كملك.

ثم انتبه إليهم يتشاورون فيما بينهم حول أمر ما، ولم يكن على دراية بطقوسهم وأعرافهم فأحس بالخوف مما يحدث أمامه، حتى تقدم منه أحدهم وخاطبه قائلاً: «لسمور يا لسمور، لا تشك بنا ولا تخف منّا، الحدبة على ظهرك ستزول نهائياً، هكذا قررنا يا لسمور نحن أصدقاؤك. ستفهم قصدي إن نظرت لظلك».

ولم يصدّق نفسه عند سماع تلك الكلمات. فأحسّ نفسه خفيفاً وبقفزة واحدة يمكنه الوصول إلى سطح القمر مثل تلك البقرة في قصة «القطة والكمان»[1]. وراقب بمتعة لا توصف انزلاق حدبته من بين كتفيه إلى الأرض. حاول رفع رأسه بحذر

(1) The Cat And The Fiddle حكاية شعبية مشهورة (م).

Twitter: @ketab_n

كي لا يصطدم بسقف قاعة الاحتفالات حيث أدخله الجن، واستدار عدة مرات في المكان فرأى كل شيء من حوله بديعاً متألقاً كأنما يراه للمرة الأولى، وشعر أن رأسه يدور ونظره يزوغ بتأثير البهجة المفاجئة، حتى غرق في سبات عميق.

وحين أفاق رأى الضوء ساطعاً والشمس مشرقة والطيور تنشد بعذوبة ووجد نفسه مستلقياً عند حافة خندق «نوك جرافتون» ومن حوله ترعى قطعان الماشية بسلام. وأول ما فعله بعد أن صلى هو تحسس ظهره بيده ليتأكد من اختفاء الحدبة، فانتابه الفخر لكونه تحول إلى شخص حسن المظهر، وفوق ذلك مكسواً ببزة جديدة من صنع الجن .

انطلق باتجاه «كاباج» بخطوات رشيقة مرنة كراقص محترف. ولأن أحداً من معارفه لم يره قطّ من دون حدبة فقد صعُب عليه إقناع الناس بأنه الشخص نفسه.

وبالطبع لم يمض وقت طويل حتى انتشرت قصة اختفاء الحدبة في كل مكان، وأصبحت محل تندر ومضرباً للمثل في طول البلاد وعرضها. حتى إنه في ذات صباح وبينما كان يجلس بدعة عند باب بيته، جاءت إليه امرأة وطلبت أن يدلها على الطريق إلى «كاباج». فقال لها: «لا حاجة بي لأدلك على الطريق إلى

Twitter: @ketab_n

كاباج يا سيدتي الفاضلة، فأنت تقفين فيها الآن. لكن أخبريني من تقصدينه هنا».

أجابته المـرأة: «لقد جئت من بلدة ديسيس في مقاطعة ووترفورد بحثاً عن شخص يدعى لسمور، سمعت أن الجن قد خلصوه من حدبته، ولي صديقة مقربة يشكو ولدها من حدبة تكاد تقضي عليه. وربما لو استطاع الولد استعمال السحر نفسه الذي استعمله لسمور لشفي مثله. فقررت السفر إلى هنا لأستفهم عن سر هذا السحر لو أمكن».

ولأن لسمور كان رجلاً بمنتهى الطيبة فقد أخبرها بكل ما حدث معه بالتفصيل: كيف أضاف نغمة جديدة على أغنية الجن في «نـوك جرافتون»، وكيف أزالـوا الحدبة عن ظهره كمكافأة له ثم أعطوه فوق ذلك كسوة جديدة. شكرته المرأة كثيراً وانصرفت خلية البال. وحين وصلت إلى بيت صديقتها في مقاطعة «ووترفورد» أخبرتها بكل ما سمعته من لسمور ثم قامتا معاً بوضع الولد الأحدب، الذي عُرف بعناده وخبثه، في عربة انطلقت بهم نحو الخندق المذكور، ورغم طول الرحلة ومشاقها إلا أنهم لم يتأففوا لكون غايتهم تستحق العناء. وعند حلول الظلام وصلوا جميعاً خندق «نوك جرافتون» فتركوا الولد هناك.

Twitter: @ketab_n

ولم يمضِ على «جاك مدين» (وهو اسم الولد الأحدب) الكثير من الوقت جالساً قرب الخندق حتى سمع أغنية تتردد من داخله وقد زادت تلك النغمة التي أضافها لسمور من حلاوتها وانسيابها، حيث انطلقت بلا توقف هكذا: «دا لوان داممورت، دالوان داممورت، دالوان داممورت، أوجوس دا داردين».

ولم يطق الولد صبراً للتخلص من حدبته فبدلاً من انتظار الجن كي يكملوا أغنيتهم أو على الأقل يحاول اغتنام فرصة توقفهم ليضيف إلى أغنيتهم نغمة جديدة تكمل النغمة التي أضافها لسمور، قام على الفور بعد سماعهم سبع مرات متتالية بإضافة: «أوجوس دا هينا» دون مراعاة الوقت أو مزاج اللحن، أو كيف يدخل كلماته بشكل مناسب، قائلاً في نفسه: «إذا كان لسمور قد تمكن من الحصول على بزة جديدة واحدة من الجن، فسأحصل أنا على اثنتين بكل تأكيد». وما كاد ينطق كلماته حتى أحاط به الجن وجروه بقسوة إلى داخل الخندق وهناك تحلقوا حوله يتصايحون ويزأرون قائلين: «من خرّب لحننا؟ من خرّب لحننا؟». ثم صرخ أحدهم في وجهه قائلاً: «جاك مدين يا جاك مدين، كلماتك أفسدت لحننا الغالي أيها اللعين، لذلك قررنا بدلاً من حدبة واحدة سنعطيك اثنتين».

Twitter: @ketab_n

وسارع عشرون جني منهم إلى جر حدبة كبيرة وإلقائها على ظهره، فركبت فوق الحدبة الأولى تماماً كأنها ثبتت بالمسامير من قبل أبرع النجارين. ثم ركلوه الى الخارج. وفي الصباح عندما جاءت أمه للبحث عنه، وجدته على حافة الموت عند عتبة الخندق، والحدبة الجديدة أكثر قبحاً ووضوحاً من القديمة. فعقدت الدهشة لسانها ولسان صاحبتها ومضتا دون أن تتفوها بحرف، خوفاً من أن يصيبهما المصير نفسه وتغادرا ذلك المكان بحدبتين على ظهريهما. وهكذا عادتا مطأطأتي الرأس إلى بلدتهما بصحبة جاك مدين المنحوس الذي توفي بعد وقت قصير تحت وطأة الحدبة الجديدة وما تكبده من مشاق في تلك الرحلة الطويلة، تاركاً خلفه كما يُقال لعنته المدمرة لأي كائن يفكر بمجرد الإصغاء لأغنيات الجن.

Twitter: @ketab_n

جن دونجال
ليتيشيا ماكلنتوك

من المعلوم للجميع أنه لا يُنصح بمعاملة الأسياد[1] بخشونة أو قلة احترام. فلو فعلت ما يغضبهم ستخسر صداقتهم وسيعاملونك بسوء مضاعف، أما إذا أحسنت لهم ولاطفتهم فلن يبخلوا عليك بجيرتهم الطيبة.

صدف أن كانت خالتي وحيدة في البيت، وفوق النار وضعت قدراً كبيراً ملأتها بالماء، وفجأة سقط من المدخنة جني صغير ولامست إحدى رجليه الماء المغلي، فأطلق صرخة ألم مفزعة. وما هي إلا لحظات حتى ازدحم بيتها بجماعة الجنّ الذين سارعوا لسحب الجنيّ الصغير من القدر وتمديده على الأرض.

سمعتهم خالتي يسألونه قائلين: «هل أحرقتك؟».

وأجابهم: «لا، لا، أنا من أحرقت نفسي بنفسي».

فقالوا: «حسناً حسناً، إن كنتَ أحرقت نفسك بنفسك فلن نتدخّل، أما لو كانت هي من أحرقك لانتقمنا لكَ منها».

(1) تلميح إلى الجن (م).

Twitter: @ketab_n

الأطفال المُستبدَلون
شراب قشور البيض
توماس كروفتون كروكر

خُيل للسيدة سوليفان أن أصغر أطفالها قد سُرق واُستبدل من قبل الجن بواحد آخر. وأكد لها ذلك التغير الذي طرأ على الصغير. فبين ليلة وضحاها تحول ابنها من ولد معافى ذي عينين زرقاوين براقتين، إلى آخر نحيل صامت طوال الوقت، مما أثار حزنها الشديد. ولكي يخفف الجيران من عذابها أكدوا لها صواب ما تدعيه زاعمين أن الجن قد خطفوا ابنها وتركوا واحداً منهم في سريره. فاقتنعت تماماً، لكنها لم تملك قوة القلب لإيذاء الطفل البديل، فرغم بشاعة وجهه وجسده النحيل جداً كهيكل عظمي، لكنه يذكرها بابنها الحبيب. فلم تستطع إحراقه حياً، مثلما أشار جيرانها عليها، أو حشو أنفه بالفلفل الحار أو التخلص منه برميه في الثلج إلى جانب الطريق. وذات يوم صادفت امرأة عُرفت بخبثها وقدرتها الخارقة على معرفة مصير الأموات وما يحدث لأرواحهم بعد الموت وكيف يمكن إبعاد الأرواح الشريرة والكثير من هذه الأمور المشابهة. وقد اشتهرت في كل المقاطعة باسم «إلين ليه» أو «إلين الرمادية».

Twitter: @ketab_n

بادرتها «إلين ليه» بالقول: «تبدين شديدة الحزن هذا الصباح يا سيدة سوليفان!».

«هذا صحيح يا إلين. فعندي ما يستوجب الحزن. لقد خطفوا ابني الغالي من بين يدي في غمضة عين، بينما كان نائماً في سريره، ووضعوا مكانه جنياً قبيحاً هزيلاً، فلا عجب أن ترينني في حداد يا إلين».

أجابت إلين ليه: «لا، لا يا سيدة سوليفان لأ ألومك على الإطلاق. لكن أمتاكدة أنت من أنه جنيّ!».

فصفر صوت السيدة سوليفان ضعيفاً كصدى وهي تقول: «بالطبع، أنا واثقة من ذلك مثل ثقتي بحزني. كيف أكذب عيني وحزني الذي يقطّع قلب أي أم!».

فقالت لها إلين ليه: «أتسمعين نصيحتي؟». ثم أضافت بعد تأمل طويل لوجه الأم المضمخ بالألم: «لكن ربما ستعتبرين كلامي حماقة».

فردت السيدة سوليفان بحماس: «إن كان بمقدورك إعادة طفلي يا إلين فلِمَ أعتبر كلامك حماقة؟».

Twitter: @ketab_n

قالت إلين ليه: «إن فعلتِ ما سأطلبه منك ستتأكدين».

صمتت السيدة سوليفان منتظرة بلهفة أن تكمل إلين ليه كلامها، التي تابعت قائلة: «ضعي قدراً كبيرة من الماء على النار واتركيها حتى يغلي الماء جيداً ويصبح حاراً كالنار ثم اجلبي دزينة من البيض الطازج. اكسريها وضعي قشورها في الماء المغلي. عندئذ ستعرفين على الفور إن كان ابنك من في السرير أم أنه جنيّ. فإن كان جنياً خذي الشراب الحارق وادلقيه في حنجرته القبيحة ولن ينالك سوء بعد ذلك قطّ، أعدك بهذا».

فأسرعت السيدة سوليفان إلى بيتها وفعلت مثلما أشارت عليها إلين، فوضعت قدراً مملوءة بالماء على النار ثم وضعت الكثير من الحطب في الموقد وأضرمت فيه حتى غلت الماء وصار حارقاً. وفي تلك الأثناء كان الطفل يستلقي بهدوء في السرير وبين الحين والآخر يفتح عينيه الصغيرتين ويجيل النظر فتبرق عيناه مثل نجمتين في ليلة باردة حين يرى إلى جانبه السيدة سوليفان تلقي بقشور البيض في الماء المغلي. ظل يراقبها لبعض الوقت ثم ناداها قائلاً بصوت خشن كأنه صوت عجوز: «ماما، ماذا تفعلين؟».

Twitter: @ketab_n

قفز قلب السيدة سوليفان إلى حنجرتها وكادت تختنق جزعاً وذهولاً من سماع طفل يتكلم. لكن شجاعتها لم تخنها فدست المسعر[1] تحت الحطب المشتعل، وقررت أن تجيبه دون إثارة ريبته، فتظاهرت بالهدوء وقالت: «أغلي شراباً يا ولدي».

قال المخلوق الصغير وقد صار واضحاً من قدرته الخارقة على الكلام من أنه جني: «وما الذي تغلينه يا أماه؟».

همست السيدة سوليفان لنفسها قائلة: «آه لو أن المسعر قد احمرّ ولو قليلاً». لكن المسعر كان غليظاً ويلزمه وقت طويل حتى يحمر فأزمعت أن تلهيه بالحديث حتى يحمر بالكامل فتنحره به. وهكذا أجابته عن سؤاله بسؤال: «أتقصد ما الذي أغليه؟ أهذا ما تريد معرفته؟».

أجاب الجني: «نعم يا أماه هذا ما أريد معرفته».

قالت السيدة سوليفان: «قشور بيض».

تحرك الجني الصغير مصفقاً بيديه وصرخ بمرح: «صار عمري أكثر من خمسمئة سنة، وبحياتي كلها لم أسمع بشراب من قشور البيض».

(1) المسعر: قضيب معدني لاذكاء النار (م).

Twitter: @ketab_n

وفي هذه الأثناء صار المسعر ملتهباً فحملته السيدة سوليفان وركضت به صوب السرير لكنها بطريقة أو بأخرى تعثرت ووقعت على وجهها، فطار منها المسعر الى الجهة الأخـرى من الغرفة. لكن من دون هدر الكثير من الوقت تماسكت ثانية ونهضت متوجهة إلى السرير، مصممة على رمي المخلوق الموجود هناك في الماء المغلي، وحين وصلت رأت ابنها مستغرقاً بنوم عذب، وقد لفّ إحـدى ذراعيه الطريتين على الوسادة، ولا يبدو على ملامحه المألوفة الأخرى أي تبديل، ناهيك عن فمه المضموم كوردة جورية تتحرك بنعومة كلما هبّ عليها نسيم أنفاسه.

Twitter: @ketab_n

ترنيمة الجن

إدوارد والش

يا طفلي الغالي، سريرك من ذهب

وتلفك ندف من الثلج الأبيض الناعم.

ساهرة أنا في هواء البستان المنعش، أراقبك كيف تغفو

أغصان الأشجار يلاعبها النسيم فتغني: «شوهين، شو، لولولو»

إن بكت الأمهات بقلوب مكسورة،

أو تفرقت الزوجات عن أزواجهن،

آه ، وحتى الجن حين يستوحدون يغنون: «شوهين، شو، لولولو»

في قاعات الضوء السحرية،

خطوات الثلج البيضاء إن رقصت،

Twitter: @ketab_n

العذراوات المسروقات،

وحتى ملكات الجن وملوكهم

والأسياد جميعهم يغنون: «شوهين، شو، لولولو»

استرح يا صغيري، فحبي عظيم،

حبي لك مثل حب آدمية لابنها

لكن حب الجن أقوى ومفعم بالكبرياء،

يتحرك ويرقص كلما علا وقع الأقدام:

«شوهين، شوو، لولو لو»

استرح يا صغيري

وليحلق في عينيك الوسن

مع أغنية الجن السحرية «سيل سيدهي»[1]

ساهرة أنا في هواء البستان المنعش

أراقبك تغفو

(1) سيل سيدهي: موسيقى الجن (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

أغصان الأشجار يلاعبها النسيم

فتغني: «شوهين، شو، لولولو».

Twitter: @ketab_n

جيمي فريل والسيدة الشابة
حكاية من «الدونجال»[1]
ليتيشيا ماكلنتوك

هناك في أسفل «فانيت»[2] عاش شاب اسمه جيمي فريل مع أمه الأرملة التي كان يعيلها بما يكسبه بكد ذراعه. ففي نهاية كل أسبوع اعتاد أن يلقي بأجرته في حضنها ويشكرها حين تُرجِع له نصف فلس يشتري به تبغاً. وقد حظي باحترام جيرانه بسبب إخلاصه وتفانيه في خدمتها، ولقبوه بالابن البار. لكنه كان يجهل رأي جيرانه الآخرين حوله، أولئك الذين لم يرهم، رغم أنهم يعيشون على مقربة منه، ربما لأنهم جماعة من الجن لا يرون من قبل الآدميين إلا في أمسيات مايو وعيد جميع القديسين[3].

فعلى بعد ربع ميل من كوخه، كانوا يقيمون في قلعة نصف مهدمة، ينيرون نوافذها القديمة في عيد جميع القديسين فقط، فيصبح بمقدور العابرين رؤية قاماتهم الصغيرة وهم يدخلون إلى القلعة ويخرجون منها، وسماع موسيقاهم حين تصدح في

(1) دونجال: مقاطعة مهمة تاريخياً في آيرلندا (م).
(2) فانيت: بلدة في مقاطعة دونجال (م).
(3) halloween عيد جميع القديسين أو (البربارة) وهو عيد يصادف في الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر (م).

Twitter: @ketab_n

الهواء. ولم يكن أحد ليشك بوجودهم في ذلك المكان، لكن لم يكن مخلوق يتجرأ على الاقتراب منهم أو التطفّل عليهم. وقد تساءل جيمي الذي لمح ظلالهم، وسمع موسيقاهم الساحرة عن بعد، كبقية الناس، في نفسه كيف تكون تلك القلعة من الداخل؟ وماذا يحدث فيها؟ وفي أحد أعياد جميع القديسين، اعتمر قبعته وقال لأمه: «سأذهب للقلعة لأجرب حظي».

فصرخت مذعورة: «وماذا ستلاقي هناك وأنت ابن الأرملة الوحيد. لا تكن أحمق يا جيمي، سيقتلونك إن ذهبت، ثم ألا تفكر بمصيري من بعدك؟». لكنه أصرّ قائلاً: «لا تخافي يا أماه، لن يطاولني الأذى. يجب أن أذهب».

ثم خرج منطلقاً، وحين عبر حقول البطاطا، لمح القلعة بشبابيكها التي تشع نوراً، محولة أوراق شجر التفاح البري، في الحديقة، إلى ذهب خالص. اقترب منها ووقف قرب جدار متداعٍ، بينما يصيخ السمع لصوت الأقزام المنشدين الضاحكين، وشد العزم على المضي قدماً نحو الداخل. شاهد حين دخوله عدداً من الجن الذين لا يتجاوز حجمهم حجم طفل في الخامسة، يرقصون على أنغام النايات، بينما انعمس بقيتهم في الأكل والشرب. لكنهم صاحوا جميعاً حين رأوه: «مرحباً بك

Twitter: @ketab_n

يا جيمي فريل. أهلاً وسهلاً جيمي». وترددت كلمة «مرحباً» من كل فم في القلعة. فانخرط معهم في الشرب واللهو ولم يشعر بمرور الوقت حتى أعلن واحد من مضيفيه قائلاً: «سنمتطي خيولنا ونذهب إلى «دبلن»[1] الليلة لنسرق إحدى الصبايا. أتأتي معنا يا جيمي؟».

فرد بحماس ومن دون طول تفكير: «نعم بالطبع». وفي خلال لحظات، كانت قافلة من الخيل تصهل عند بوابة القلعة. امتطى جيمي صهوة جواد مطهم، ارتفع به عالياً في الهواء. ثم مر عابراً من فوق كوخ أمه ومجموعة الجن تحيط به ومضوا جميعاً من دون توقف فوق الجبال والتلال الصغيرة، مروراً ب «لوتش سويلي»[2]، وكثير من البلدات والأكواخ، ورأوا كيف يحتفي الناس بالعيد بشي الكستناء وأكل التفاح مستمتعين. وخيل لجيمي أنهم قد حلّقوا فوق آيرلندا بأكملها قبل وصولهم إلى «دبلن». وكانوا كلما مروا فوق مكان ما، يذكرون اسمه، فحين عبروا من فوق «كنيسة ديري» قال أحدهم: «هذه ديري»، ثم أخذوا يرددون تباعاً: « ديري، ديري، ديري» حتى امتلأ الفضاء بخمسين صوت يكرر كلمة «ديري» في اللحظة عينها. وبهذه

(1) عاصمة آيرلندا وهي من أكبر المدن فيها (م).
(2) لوتش سويلي وهي بحيرة مشهورة، تلقب أيضاً باسم بحيرة الظلال أو العيون، في مقاطعة دونجال في آيرلندا (م)

Twitter: @ketab_n

الطريقة علم جيمي أسماء جميع المناطق التي عبروا من فوقها إلى أن سمعهم يقولون: «دبلن، دبلن». وفيها توقفوا فوق واحد من أجمل وأثرى البيوت في منطقة «ستيفنس جرين».

وترجلت القافلة بالقرب من إحدى نوافذه، فرأى جيمي وجهاً جميلاً، نائماً فوق سرير رائع. ورأى الشابة، صاحبة ذلك الوجه تُحمل وتُسحب بعيداً لتترك في مكانها عصا أخذت شكلها بالضبط. ثم تُوضع على حصان أمام أحد الجن، فيطير بها مسافة قصيرة ليسلمها لآخر وهكذا، مع ترداد أسماء الأماكن كما فعلوا في السابق. وعندما اقتربوا في تحليقهم من بيته سمعهم يقولون: «راث مولان، ميلفورد، تامني». فقال لهم: «لقد نال كل منكم دوره في حملها، أيمكنني أنا أيضاً حملها ولو لمسافة قصيرة جداً؟».

فرد الجن: «بالطبع يا جيمي يمكنك ذلك». فحضنها جيمي بلهفة، هابطاً بها سريعاً بالقرب من باب بيته. ثارت ثائرة الجن وتصايحوا من خلفه وهم يلحقون به قائلين: «جيمي فريل.. جيمي فريل.. أهذا جزاؤنا؟». لكنه لم يكترث، أو يتوقف وشد بإصرار على حمله، الذي لم يعد يعرف ما هو بالضبط، فقد صارت الصبية تتحول بين يديه مرة إلى كلب أسود، ينبح في

Twitter: @ketab_n

وجهه محاولاً عضه، ومرة إلى قضيب حديد يلمع بزيف كأنه محمى، وأحياناً تتحول إلى كيس من الصوف، وظل جيمي ممسكاً بها حتى انصرف الجن خائبين وذلك بعد أن استدارت أصغر أنثى فيهم قائلة: «جيمي فريل أخذ تلك الصبية منا، لكن يجب ألا يهنأ بها، لذلك سأجعلها خرساء صماء». وألقت بشيء ما فوق الفتاة واختفت. فتح جيمي البوابة ودخل فاستقبلته أمه بالقول: «ها يا جيمي، لقد غبت الليل بطوله! ماذا فعلوا بك؟».

فأجابها: «أنا بخير يا أمي، وقد رزقت بحظ طيب. انظري ماذا أحضرت لك، هذه صبية جميلة ستأنسين برفقتها». لكن كل ما استطاعت الأم قوله، وهي التي لم تفارقها دهشتها إلا بعد وقت طويل: «باركنا واحرسنا يا رب». ثم أطلعها جيمي على كل ما حدث معه، منهياً كلامه بالقول: «من المؤكد أنه لن يهون عليك تركها تضيع للأبد مع أولئك الجن، أليس كذلك؟». فاعترضت الأم قائلة: «لكن كيف يمكن لسيدة شابة مثلها أن تشاركنا طعامنا البسيط، وأن تحيا حياتنا الفقيرة؟ هيا أجبني أيها الأحمق». فرد جيمي مشيراً باتجاه القلعة: «آه يا أمي، أليست الحياة معنا أرحم لها من هناك على الأقل». وبينما هما يتحاوران هكذا، كانت الشابة ترتجف برداً، وهي لا تزال في ملابس نومها

Twitter: @ketab_n

الرقيقة، واضطرت لحشر نفسها بالقرب من الموقد. حدقت الأم فيها بشفقة ودهشة، ثم قالت: «يا لها من مخلوقة مسكينة، إنها بضّة جميلة، ولا عجب أنهم اختاروها. علينا أن نلبسها ثياباً لائقة دافئة، ولكن بحق السماء كيف يمكنني العثور على ما يناسبها من ملابس؟».

وانطلقت نحو خزانتها لتخرج ثوب الأحد البني (الثوب الميت كما تسميه)، ثم سحبت درجاً، أخذت منه زوج جوارب بيضاء طويلة، من الكتان الناعم الفاخر، وقبعة. وقد كانت تحتفظ بهذه المجموعة من الملابس الفخمة للمناسبات الخاصة كالاحتفالات التي ستؤدي فيها دور الرئيسة، لذلك أبقتها مخزنة لا ترى الضوء إلا وقت تشميسها، وفكرت بأنها رغم ذلك ليست بخسارة على هذه الضيفة الفاتنة المرتجفة، التي كانت تتنقل بفزع منها إلى جيمي ومنه إليها. ارتدت الصبية بمشقة الثياب التي قدمتها الأم، وجلست على كرسي قديم إلى جانب الموقد، دافنة وجهها بين كفيها. وفجأة سألت الأم ثانية: «كيف يمكننا رعاية سيدة كهذه؟».

فأجابها جيمي: «لا تخافي يا أمي، سأكد وأعمل لأعيلكما أنتما الاثنتان». لكنها عادت وكررت سؤالها السابق: «ولكن

Twitter: @ketab_n

كيف تقتات سيدة شابة مثلها بطعام فقير كطعامنا؟». فرد جيمي بكل صبر: «سأعمل ما بوسعي لأعيلها». وهذا ما فعله حقاً. وهكذا مضت الأيام، لكن حزن الصبية لم يفارقها، وكثيراً ما هطلت الدموع من عينيها في المساءات التي قضتها تراقب الأم العجوز، وهي تغزل بجانب الموقد، وبقي جيمي يعمل بجد محاولاً إسعادها، وكان يبهجها بين الحين والآخر بوجبة من سمك السلمون. وأمام طيبتهما أرغمت نفسها على الابتسام، كلما لمحت أحدهما ينظر إليها، وبالتدريج عودت نفسها على نمط الحياة معهما، ولم يكد يمضي الكثير من الوقت حتى صارت تطعم البقرة، وتهرس البطاطا للغداء، وتحيك الجوارب. ومرت سنة كاملة على هذا المنوال، وحل عيد جميع القديسين من جديد، فاعتمر جيمي القبعة، وقال لأمه: «سأذهب إلى القلعة لأجرب حظي».

فصرخت برعب: «هل فقدت عقلك يا جيمي، هذه المرة سيقتلونك بالتأكيد بسبب غدرك لهم في السنة الماضية!».

لكنه لم يفعل سوى مسح دموعها وتهدئة روعها، ثم الانطلاق خارجاً. وعند وصوله بمحاذاة أشجار التفاح البري ذاتها، رأى أضواء مبهرة تملأ نوافذ القلعة كما في السابق، وميز أصوات

Twitter: @ketab_n

أحاديث عالية، فتسلل إلى حافة النافذة وأصغى، فسمع أحدهم يقول: «لقد خدعنا جيمي فريل في العيد الماضي خدعة بشعة لا تغتفر، حين سرق منا السيدة اللطيفة».

فقالت الجنية: «صحيح، وقد عاقبته على ذلك فجعلتها تحيا صماء خرساء أمام ناظريه. لكنه لا يعلم أن ثلاث نقاط من هذا الشراب الذي أحمله في يدي يُرجع لها سمعها ونطقها مرة أخرى». ولم يطق جيمي صبراً، فاندفع داخل القاعة وهو يكاد يسمع دقات قلبه بأذنيه، وجرى الترحيب به ثانية، بالطريقة نفسها، حيث صاح الجميع عند رؤيته: «ها قد جاء جيمي فريل. أهلاً وسهلاً بجيمي». ثم قالت الجنية الصغيرة ذاتها حين هدأت الضجة: «هيا اشرب معنا نخب صحتنا يا جيمي من هذه الكأس في يدي». فخطف جيمي الكأس بسرعة، وفر باتجاه الباب. ولم يصدق كيف وصل إلى كوخه، منقطع الأنفاس، ثم انهار إلى جانب الموقد. هرعت أمه قائلة: «لابد من أنهم قضوا عليك هذه المرة يا ولدي المسكين!».

«بالعكس لقد وفّقت أكثر من المرة الماضية». وسلم أمه كأس الشراب التي ما زالت تحمل في قعرها القطرات السحرية الثلاث. وهكذا كانت أولى كلمات الفتاة حين عاد لها نطقها هي شكرٌ

Twitter: @ketab_n

لجيمي. ثم قضى ثلاثتهم الليل بطوله يثرثرون حول الموقد، حتى سمعوا صياح الديكة وتوقف عزف الجن عن التردد في الهواء، فكم كان لديهم من كلام لم يقل من قبل.

بعدها طلبت الشابة من جيمي مساعدتها على خط رسالة لأبيها لتخبره فيها عما حدث، ومرت عدة أسابيع من دون أن تتلقى أي رد، فكررت الكتابة

وإرسال الرسائل دون أي جواب، حتى قالت لجيمي في أحد الأيام: «يجب أن ترافقني إلى دبلن يا جيمي، علي أن أجد أبي».

فقال جيمي: «لا أملك أجرة العربة، ومن الصعب سفرنا إلى دبلن سيراً على الأقدام». لكنها ألحت ورجته طويلاً، فوافق وانطلقا مشياً من «فانيت» إلى «دبلن». لم تكن الطريق سهلة كما في رحلته مع الجن، لكنهما في النهاية، وبعد مسيرة شاقة، تمكنا من الوقوف أمام باب الفتاة، ليقرعا جرس البيت الفخم في «ستيفن جرين».

وعندما أطلت الخادمة قالت لها الصبية: «أخبري أبي أن ابنته هنا وتريد مقابلته».

Twitter: @ketab_n

فردت الخادمة: «ليس لسيدي أي ابنة يا صغيرتي. كان له واحدة لكنها توفيت منذ أكثر من سنة».

قالت الصبية بدهشة: «ألم تعرفيني يا سوليفان؟».

«لا لم أعرفك يا صغيرتي المسكينة».

«اسمحي لي برؤية السيد أرجوك هذا كل ما أطلبه».

«حسناً هذا طلب سهل، لنرى ما بوسعنا فعله».

وخلال لحظات قصيرة كان والد الصبية عند الباب.

فخاطبته قائلة: «ألم تعرفني يا أبي العزيز؟».

فرد عليها بحدة: «كيف تتجرأين على مخاطبتي بكلمة أبي! ليس لي أي بنات، وما أنت سوى محتالة!».

«انظر جيداً إلى وجهي يا أبي، وستتذكرني بالتأكيد».

فرد عليها بصوت تحول من الغضب إلى الحزن الشديد: «ابنتي ماتت، ودفنت منذ زمن طويل.. يمكنك أن تغادري بسلام».

«انتظر يا أبي العزيز، انظر إلى هذا الخاتم في إصبعي. أترى اسمك واسمي منقوشين عليه».

Twitter: @ketab_n

«من المؤكد أنه خاتم ابنتي، لكنني أشك بالطريقة التي حصلت بها عليه».

انفجرت الصبية المسكينة باكية بمرارة، وتابعت تقول: «ناد أمي أرجوك، أنا واثقة أنها ستعرفني».

«لم تعد زوجتي المسكينة تأتي على ذكر ابنتنا كثيراً هذه الأيام، فقد أوشكت أن تنسى حزنها، فلِمَ أقلب عليها مواجعها، وأذكرها بخسارتها!».

لكن الصبية توسلت بإلحاح، حتى أرسلوا في طلب الأم.

بادرتها قائلة: «أمي، ألا تميزين ابنتك؟».

«ليس لي بنات. ابنتي ماتت منذ زمن طويل جداً».

«تأملي وجهي وستعرفينني».

لكن المرأة العجوز هزت رأسها كعلامة للنفي.

«لقد نسيتموني جميعكم، لكن انظروا لهذه الوحمة على رقبتي. بالتأكيد ستتعرفين إلي يا أمي الآن».

Twitter: @ketab_n

«نعم نعم، غاليتي غريس لديها علامة كهذه بالضبط فوق رقبتها، لكنني رأيتها في كفنها، وشاهدتهم يضعون الغطاء فوق تابوتها».

حينها اندفع جيمي للكلام، فبدأ بإخبارهم عن رحلته مع الجن، وكيف خطفوا السيدة الشابة ووضعوا مكانها عوداً يابساً تقمص هيأتها تماماً، وعن حياتها معهم في «فانيت» وعن عيد جميع القديسين الماضي، وقطرات الشراب الثلاث التي خلصتها من السحر. وعندما توقف جيمي تابعت ابنتهما الحديث واصفة حياتها مع جيمي وأمه، ومعاملتهما الطيبة لها. فحار الوالدان كيف يشكران جيمي سوى بإظهار أعظم التقدير والاحترام له. وحين أعلن عن رغبته في العودة إلى «فانيت» لم يعرفوا كيف يكافئونه. لكن فجأة تعقدت المسألة أكثر حين قالت ابنتهما إنها لن تسمح له بالرحيل من دونها. فقد قالت لأبويها: «إذا كان على جيمي الذهاب، فسأذهب معه. لقد أنقذني من براثن الجن، ولم يتخلَ عني منذ ذلك الحين، فكدح بنشاط لأجلي. ولولاه لما رأيتماني مرة أخرى. فإن غادر سأرافقه».

Twitter: @ketab_n

وأمام قرارها هذا، فكر السيد العجوز بإمكانية تزويجهما، وأن يجعل من جيمي صهراً له. وهكذا كان، فأرسلوا لإحضار أمه من «فانيت» على وجه السرعة، ثم أقاموا لهما عرساً بمنتهى الروعة. وقد عاش الجميع في بيت دبلن الكبير، حتى وفاة الوالد العجوز، فورث جيمي ثروته الطائلة.

Twitter: @ketab_n

الولد المخطوف

وليم باتلر ييتس

حيث تَغرسُ الصخور المرتفعة

منقارها في البحيرة

عند «سلووث وود»[1]

هناك تقبع جزيرة خضراء،

فيها، يوقظ مالك الحزين فئران الماء المخدّرة

برفيف جناحيه،

وفيها، خبّأنا أطباقنا الجنّية،

المليئة بالتوت الأحمر المسروق.

تعال معنا أيها الولد الآدميّ

إلى الغابات ومياهها البرّية،

لنقودك بعيداً نحن الجن،

(1) الأماكن المذكورة كلها تقع في منطقة سليجو في آيرلندا (م).

Twitter: @ketab_n

ونمضي معاً يداً بيد،

فالعالم مليء بويلات لن تفهمها.

حيث موجة من زجاج القمر المضيء،

والرمل الرمادي الكالح، يشع من بين «روسيس البعيدة»[1]

تعال نملأ الليلة بطولها رقصاً ولهواً

وتشابكاً بالأيدي والنظرات

ولنبق كذلك حتى يحلّق القمر مبتعداً،

فنتسلل ونلاحق الفقاعات،

بينما العالم منشغل بمشاكله، ومن قلقه لا ينام،

تعال لنهرب، أيها الولد الآدميّ

نحو الغابات ومياهها البرية،

نمضي معاً يداً بيد

(1) Further Rosses فارذير روسيس أو روسيس البعيدة: موقع يسكنه الجن حيث هناك صخور يقال إن من ينام قربها يستيقظ خفيفاً وتافهاً لأن الجن قد سرقوا روحه في أثناء استغراقه في النوم (م).

Twitter: @ketab_n

فالعالم مليء بمآسٍ لن تفهمها.

حيث يتفجر الماء العذب

من هضاب فوق «جلين كار»[1]

ويتجمّع في برك صغيرة وسط الأسل[2]

بحفنة من ذاك الماء نحمم نجمة كاملة،

أو نلاحق سمكة سلمون،

نهمس في الآذان،

ونمنح الناس أحلاماً مزعجة،

بمجرد إطلالنا من سراخس تقطر الندى فوق السواقي،

كأنها تبكي.

تعال أيها الولد الآدميّ

هيا برفقتنا إلى الغابات ومياهها البرية

لنمض متشابكي الأيدي،

(1) اسم مكان في منطقة سليجو (م).

(2) الأسل: نوع من النبات (م).

Twitter: @ketab_n

فالعالم مليء بويلات لن تفهمها.

جاء الولد ذو العينين الحزينتين معنا.

لن يسمع مرة أخرى خوار العجول على الهضبة الدافئة،

أو صفير الإبريق على الموقد، كأنه يغني ليهدهد نفسه

لن يرى الفئران البنّية المتقافزة،

تدور دون توقف بين خزائن الشوفان[1]

لأنه جاء معنا نحن الجن

لنمضي متشابكي الأيدي،

إلى الغابات ومياهها البرية

فالعالم مليء بويلات لن يفهمها.

---

(1) Oatmeal الشوفان نبات يشبه القمح يصنع منه الخبز والمعجنات الخ (م).

Twitter: @ketab_n

أقفاص الروح
توماس كروفتون كروكر

عاش جاك دوجرتي، الذي كان صياداً، مثلما كان أبوه وجده من قبله، على شاطئ مقاطعة كلير، وأمضى حياته هناك، وحيداً مثلهما أيضاً (باستثناء أن له زوجة).

وطالما استغرب الناس تعلق عائلته بذلك المكان المعزول الموحش الممتد وسط كتل من الصخور العارية، بلا منظر واحد يمتع العين سوى مياه المحيط الواسعة. لكن يبدو أنه كانت لهم أسبابهم المعقولة. فتلك البقعة من الشاطئ توفّر لمن يسكنها إمكانية العيش برخاء. حيث يوجد جون صغير باستطاعة قارب صغير أن يرسو براحة فيه، مثلما يقبع طير في عشه. وتحت الماء يمتد، خارجاً من الجون، لسان صخري تتحطم عليه عادة السفن المحملة بالبضائع الثمينة، إن صادف وهبت عاصفة بحرية عليها وهي بالقرب منه. حينئذ تطوف على وجه الماء، في تلك البقعة بالذات، أحمال القطن والتبغ النفيسين، والكثير مما يشبهها، وكذلك دنان الخمرة على اختلاف أصنافها ومصادرها.

Twitter: @ketab_n

وباختصار، أصبح خليج «دون بج» بمثابة عزبة صغيرة لآل دوجرتي. والحق يقال إنهم لم يتأخروا يوماً عن مساعدة أي بحار يحالفه الحظ للنجاة بحياته. فقد قام جاك عدة مرات بوضع قاربه المتواضع في خدمة هذه الغاية. لكن حين تتحطّم السفينة بالكامل ويغرق كل طاقمها فمن سيلومه إن حاول الانتفاع من أي بقايا يعثر عليها، فحتى الملك لا يستطيع ذلك، لأن لديه هو نفسه ما يفيض عن حاجته. ورغم أن جاك رجل تقيّ، إلا أنه كان ذو طبيعة مرحة، محبة للتسلية والمتعة. ومن المؤكد أن لا أحد غيره كان بمقدوره إقناع بيدي ماهوني بهجر بيت أبيها الدافئ في وسط بلدة «أنيس» لتأتي وتعيش على بعد أميال وأميال، معزولة عن البشر، بصحبة الصخور والفقمات والنوارس فقط. لكن بيدي كانت تعرف أن جاك هو من يناسبها من بين جميع الرجال وكانت ثقتها كبيرة في قدرته على إسعادها وتأمين راحتها، فبالإضافة للأسماك التي يصطادها كان في حوزته ما يعادل نصف ما لدى جميع السادة الأثرياء في المقاطعة كلها مما يكسبه من تلك البقعة على الشاطئ.

Twitter: @ketab_n

وقد كانت محقة في اختيارها فما من امرأة كانت تأكل أو تشرب أو تنام أو تظهر بمظهر لائق في احتفالات يوم الأحد، أكثر من السيدة دوجرتي. وهناك، في ذلك المكان، كثيراً ما رأى جاك وسمع أشياء بمنتهى الغرابة لكنه لم يكن يكترث أو يخاف. وشجاعته هذه جعلته لا يخشى عريس البحر[1] أو أي مخلوق مشابه بل على العكس كان يتوق للقاء واحد منهم. وقد سمع أن هذه المخلوقات جبّارة وتجلب رفقتها الحظ الحسن. ولذلك لم يفعل يوماً ما يؤذيهم أو يزعجهم، حين كان يلمحهم بالصدفة، عائمين على وجه الماء، بأرديتهم المنسوجة من ضباب، وإنما كان يطيل تأملهم لدرجة قضائه اليوم بطوله في عرض البحر، ثم يعود إلى البيت من دون أن يغنم بأي صيد، مما كان يغضب زوجته بيدي، فتعلن انزعاجها بطريقتها الهادئة المعتادة. لم تكن لتتخيل أي نوع من الصيد يحلم به زوجها. ومما أغضبه كثيراً هو عدم تمكنه يوماً من رؤية أي من عرسان البحر بوضوح، مع كثرة انتشارهم مثل سرطان البحر. ومما أثار حنقه أكثر، معرفته أن كل من جده وأبيه قدر لهما مقابلتهم وجهاً لوجه مرات عدة، بل تذكّر قصة سمعها في صغره تؤكد أن جده الذي كان أول من استقر من العائلة بالقرب من ذلك

(1) ذَكَر عروس البحر الذي تحكي الأساطير أن له أسناناً خضراً وقبعة حمراء تساعده على الغطس والعيش في قاع البحر (م).

Twitter: @ketab_n

الخليج، قد وطد علاقة صداقة مع واحد منهم، ولولا خوفه من غضب القس لتبناه وجعله واحداً من أبنائه. لكن تلك القصة لم تقنعه كثيراً. ولحسن الحظ أنه بدأ يفكر على المدى الطويل بالاكتفاء بمعرفة عرسان البحر، فقط إلى الدرجة التي عرفهم بها جده وأبيه. وهكذا في أحد الأيام حين تعمق أكثر من عادته باتجاه الشمال، وعند نقطة معينة، هناك فوق صخرة شبه مخفية، رأى شيئاً لم يرَ مثله من قبل. وأقسم أن ذلك الشيء كان يحمل قبعة ريش في يده. قضى ما يقارب النصف ساعة محدّقاً باتجاهه محاولاً التأكد من هويته. وطوال ذلك الوقت ظل المخلوق جامداً لا يحرك ساكناً. حين نفد صبره أطلق صفرة عالية، وخاطبه مسلّماً عليه، لكن عريس البحر (على فرض أنه كان حقاً عريس بحر) وضع على الفور قبعة الريش على رأسه وغاص في الماء. زادت تلك الحادثة من فضول جاك فصار يواظب في كل مرة على التوجه لتلك النقطة بالذات، من دون أن يوفق قطّ في رؤية الشاب ذي قبعة الريش. وبعد تفكير طويل بالأمر، قرر أن القصة بكاملها مجرد حلم. لكن في أحد الأيام العاصفة، حين ارتفعت أمواج البحر كجبال صغيرة، قرر أن يفحص عن قرب صخرة عريس البحر، فربما اختلف حظه هذه المرة بسبب اختلاف حالة الجو. وفعلاً حين اقترب، رأى ذلك

Twitter: @ketab_n

الشيء الغريب يقطّع بعض النباتات على الصخرة، ثم يغوص في الماء فترة، يعود بعدها للصخرة وهكذا. أدرك حينها أنه لكي يرى المخلوق بوضوح عليه اختيار الأيام العاصفة. لكن مجرد رؤيته عن قرب لم تعد كافية، صار يرغب بالتقرب منه واكتساب صداقته إن أمكن. وقد نجح في تحقيق ذلك.

ففي أحد الأيام التي صفرت فيها الرياح، وقبل وصوله إلى النقطة التي تمكن فيها سابقاً من رؤيته بوضوح، اشتد اضطراب الموج فاضطر إلى اللجوء إلى أحد الكهوف الصخرية، المنتشرة بكثرة على طول الساحل. هناك في الداخل، أدهشته رؤية المخلوق الغريب ذي الشعر الأخضر والأسنان الخضر الطويلة، والأنف الأحمر، والعينين الشبيهتين بعيني خنزير، وذيله الشبيه بذيل السمكة، وقدميه المكسوتين بالحراشف، ويديه القصيرتين كالزعانف. كان عارياً تماماً يحمل قبعة من الريش تحت ذراعه، ويبدو منشغلاً بالتفكير بأمر ما. ورغم كل ما يتمتّع به جاك من شجاعة فقد أحسّ بقليل من الرهبة، لكنه فكر بضرورة المجازفة، فربما لن تؤاتيه مثل هذه الفرصة الذهبية مرة أخرى. دخل الكهف بجسارة، رافعاً قبعته وحانياً ظهره بكل احترام، وقال ملقياً السلام على المخلوق الغريب: «خادمك المطيع يا سيدي».

Twitter: @ketab_n

فرد عليه عريس البحر: «خادمك المطيع بكل سرور يا جاك دوجرتي».

سأل جاك بدهشة: «أتتكرم وتخبرني حضرتك كيف عرفت اسمي!».

«أمن المعقول ألا أعرفه يا جاك دوجرتي؟ لقد كنتُ صديقاً لجدك منذ زمن بعيد جداً، من قبل أن يتزوج من جدتك جودي ريجان حتى. آه يا جاك، كم كنتُ أحب جدك. لقد كان رجلاً جباراً، عظيماً في زمنه. لم أقابل في حياتي شبيهاً له في شرب البراندي[1]». ثم تابع غامزاً جاك بعينه: «أتمنى أنك حفيده حقاً». فقال جاك: «صدقني سأنال إعجابك في مثل تلك الأمور، فأنا أشربها بسهولة كأنني رضعتها بدلاً من الحليب».

«يسرني سماعك تتكلم هكذا، كرجل حقيقي. و يسعدني أن نصبح صديقين، على الأقل لأجل خاطر جدك. لكن يا جاك، كان أبوك مختلفاً ولم يُخلق للشرب».

قال جاك: «بما أن حضرتك تعيش عميقاً في مياه المحيط، فمن المؤكد أنك تلجأ للشراب كي تقاوم قساوة ذلك المكان وبرودته.

(1) Brandy البراندي: شراب كحولي (م).

Twitter: @ketab_n

غالباً ما سمعتُ الناس يشبّهون الذين يشربون كثيراً بالسمك، لكن من أين حقاً تحصل على الخمرة!».

فأجاب عريس البحر، فاركاً أنفه الأحمر بين أصابعه وإبهامه: «ومن أين تحصل عليها أنت يا جاك؟».

صاح جاك: «آهـا.. الآن عرفت، لكن أعتقد أن لدى حضرتك يا سيدي مستودعاً لتخزينها هناك في الأسفل؟».

فقال عريس البحر، غامزاً جاك بعينه اليسرى: «لن أحكي لك عنه».

فتابع جاك قائلاً: «أنا متأكد من أنه يستحق الاكتشاف».

فقال عريس البحر: «بكل تأكيد يا جاك، وإن استطعت المجيء إلى هنا صباح الاثنين القادم سنتابع الحديث أكثر عن الموضوع». وهكذا ودّع جاك وعريس البحر أحدهما الآخر كأعز صديقين. وفي يوم الاثنين التالي التقيا مجدداً. لم يفاجأ جاك حين رأى قبعتين من الريش مع عريس البحر، واحدة تحت كل ذراع. قال له: «هل لي أن أتجرأ وأسألك يا سيدي لِمَ تحمل حضرتك قبعتين اليوم؟ لا أعتقد بأنك ستعطيني واحدة منهما لأحتفظ بها كتحفة نادرة!».

Twitter: @ketab_n

رد عريس البحر: «لا، لا يا جاك. لا أحصل على قبعاتي بسهولة كي أفرّط بها بسهولة. لكنني سأدعوك لتناول العشاء معي في بيتي، وهذه القبعة أحضرتها لك لتلبسها قبل أن نبدأ الغوص». فصاح جاك بمرح: «يا سلام!! أتريدني أن أغوص معك إلى قاع المحيط المالح! بالتأكيد سأختنق، وربما أغرق وأموت، ثم إن زوجتي لن تحبّذ ذلك أيضاً».

«وما أهمية ما ستقوله زوجتك؟ ومن يكترث لغضبها أصلاً؟ لو كان جدك مكانك لما فكّر هكذا. لطالما وضع القبعة على رأسه وغاص خلفي بشجاعة، وكم من مرة استمتعنا معاً تحت الماء بعشاءاتي، وأقماع الصَدف الطافحة بالبراندي».

قال جاك: «أهذا صحيح يا سيدي؟ إذن لن أسمح لنفسي بأن أكون أقل من جدي. سأذهب معك».

فرد عريس البحر العجوز: «نعم لقد بدأت تعجبني الآن. هذه بالضبط روح جدك، هيا اتبعني وافعل مثلما أفعل».

غادرا الكهف ومشيا في عرض البحر ثم سبحا قليلاً حتى وصلا إلى صخرة تسلّقها عريس البحر وتبعه جاك. في أحد جانبيها كانت مستوية كجدار بيت، وبدا البحر، من تحتها،

Twitter: @ketab_n

عميقاً جداً، مما أفزع جاك قليلاً. قال عريس البحر: «الآن اسمع يا جاك، ضع القبعة على رأسك وحاول إبقاء عينيك مفتوحتين على وسعهما. تمسك بذيلي واتبعني وسترى ما ستراه».

ثم غطس في الماء، وغطس جاك وراءه بجرأة. استمرا في الغوص لوقت طويل، حتى خُيل لجاك أنهما لن يصلا البتة. وكم تمنى لو أنه لم يقحم نفسه في هذه المغامرة وظل جالساً قرب زوجته أمام الموقد. لكن ما نفع التمني بعد أن صار على بعد أميال وأميال تحت أمواج الأطلسي. استمرّ متمسكاً طوال الوقت بذيل عريس البحر رغم لزوجته وصعوبة التشبث به، حتى فوجئ بخروجهما من الماء، حيث وجد نفسه في أرض جافة مع أنها في قعر المحيط. حطّا تماماً أمام بيت لطيف، مزين بصَدف حيوانات بحرية. التفت عريس البحر إليه ودعاه للدخول مرحّباً به. لكنه لم يرد بحرف واحد، كأنما أصابه الخرس بسبب تعجبه أو تعبه بعد قطع كل تلك المسافات تحت الماء من دون تمكنه من التنفس. تطلع حوله فلم يرَ أي مخلوق حيّ، باستثناء سرطانات البحر وما شابهها من حيوانات تجرجر أقدامها فوق الرمل، وفوق رأسه يمتد البحر بأسماكه السابحة مثل سماء تحلق الطيور فيها. قال عريس البحر ممازحاً: «لماذا صمتّ يا رجل؟ أراهن أنك لم تتخيل

Twitter: @ketab_n

يوماً أنه يمكنني امتلاك مكان كهذا؟ هل خرست أم اختنقت أم غرقت، أم أنك مازلت تفكر كجبان بأمر زوجتك بيدي؟ ها؟».

ابتسم جاك قائلاً: «أوه أنا بخير لكن من يمكنه أن يتصور رؤية شيء عجيب كالذي أراه».

«هيا ندخل ونرى ماذا أعدوا لعشائنا».

كان جاك جائعاً بالفعل، ولاحظ بسرور خيطاً من الدخان يرتفع من المدخنة، معلناً عما يحدث في الداخل. تبع عريس البحر إلى داخل البيت فرأى مطبخاً جيداً، معداً بكل المستلزمات الضرورية. فيه أطقم أدوات طهو فخمة، ولمح شابتين من عرائس البحر تعدّان الطعام. قاده مضيفه بعد ذلك إلى غرفة فقيرة الأثاث، استبدلت الطاولة والكراسي فيها بجذوع أشجار، لكن منظر النار المتوهجة في طرفها كان تعويضاً عن ذلك التقشف. قال عريس البحر بخبث: «تعال الآن لأريك أين أخزن ال .. تعرف قصدي». ثم قام بفتح باب صغير، وقاده إلى مستودع أنيق مرصوف بالبراميل المعبأة بكل أنواع الخمور».

«ها ما رأيك يا جاك دوجرتي؟ هل بإمكان شخص مثلي العيش بدفء تحت الماء؟».

Twitter: @ketab_n

قال جاك لاحساً شفته العليا: «لم يعد عندي أي شك».

عادا معاً إلى الغرفة ليجدا العشاء جاهزاً في انتظارهما. ورغم عدم وجود غطاء للمائدة - لكن حقاً ما أهمية ذلك، فلم يتناول جاك دائماً طعامه على مائدة بغطاء حتى في بيته - فقد كانت الأصناف المقدمة من أفخر ما يمكن إعداده لوليمة فاخرة في أثرى بيوت المقاطعة. فقد ازدحم فوقها أكثر من عشرين صنف من الأسماك والحيوانات البحرية اللذيذة النادرة، بالإضافة إلى الكثير من الخمور الأجنبية الممتازة. أكل جاك وشرب حتى التخمة. ثم تناول، بعد أن عجز عن أكل المزيد، كأساً من الصدف مملوءة بالبراندي، ورفعها قائلاً: «بصحتك يا سيد أه.. آه .. عفواً لأنني رغم كل صحبتنا مازلت أجهل اسمك».

أجاب عريس البحر: «هذا صحيح يا جاك، أنا أيضاً لم يخطر على بالي، لكن لا بأس أنك سألت على الأقل الآن، اسمي كومارا».

فقال جاك بينما يتناول كأساً آخر من الخمر، ويرفعه كما في السابق: «يا له من اسم لائق. لنشرب نخب صحتك يا كومارا، عسى أن تعيش الخمسين عاماً القادمة من عمرك بصحة وعافية».

Twitter: @ketab_n

قال كومارا مستهجناً: «هـاه.. خمسون عاماً! قل رقماً يستحق التمنّي. أشكرك لو قلت خمسمئة عام». فقال جاك: «يبدو أن قوانينكم تختلف عنّا نحن البشر. لقد نسيت أنك كنت تعرف جدي، وهو متوف منذ ستين سنة. لابد من أن هذا المكان الذي تحيون فيه يمنحكم طول العمر والصحة».

«هذا صحيح يا جاك. هيا تابع صب الخمرة لنا».

وهكذا استمرا في الشرب كأساً بعد الأخرى، وقد دُهش جاك من قدرته الجديدة على الإكثار من الشرب من دون أن يثمل البتة، وعزا ذلك لتواجدهم في جو رطب تحت سطح البحر. وأما كومارا فقد أحس بنشوة واستراح لصحبته كثيراً فبدأ يغني منشداً أغنيةً وراء الأخرى، لكنه لم يستطع مجاراته وكل ما تمكن من تذكرّه كان: «رم فم بودل بو، ربل دبل نتي دوب، دمدو دودل كوو، رافل تافل تشتيبو». وقد تناوبا الغناء هكذا حتى وقت طويل، وللحقيقة لم يكن لأي أغنية من أغنياتهما أي معنى تماماً مثل أغنيات هذه الأيام.

وبعد مدة قال له كومارا: «والآن يا ولدي العزيز إن أحببت تعال معي لأريك مقتنياتي النادرة». ثم فتح باباً صغيراً وأدخله إلى غرفة واسعة، حيث رأى الكثير من الأشياء الغريبة التي أشار

Twitter: @ketab_n

كومارا إلى بعضها، شارحاً قليلاً أو واصفاً، لكن ما استحوذ على انتباهه حقاً، كان أوعية تشبه الصناديق من صدف سرطان البحر، مرصوفة بترتيب على الأرض بمحاذاة الحائط، وقد قلبت فتحاتها إلى الأسفل. سأله كومارا: «هل أعجبتك مقتنياتي النادرة يا جاك؟».

فأجاب: «أقسم بروحي يا سيدي أنها تحف تستحق المشاهدة، لكن سأتجرأ وأسألك عن تلك الأشياء التي تبدو كصناديق من صدف سرطان البحر؟».

«آه، أتقصد أقفاص الروح، أليس كذلك؟».

«عفواً يا سيدي ماذا!».

«تلك أوعية أحفظ فيها الأرواح».

قال جاك بدهشة: «آه، لكن أي أرواح يا سيدي؟ بالتأكيد ليس للأسماك أرواح، أليس كذلك؟».

فأجاب كومارا بخفة: «لا، لا ليس للأسماك أرواح، لكن هذه أرواح البحارة الغرقى». فتمتم جاك: «ليحرسنا الرب من كل مكروه. لكن كيف بربك حصلت عليها؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب كومارا: «بمنتهى السهولة. فكلما أحسست أن عاصفة على وشك الهبوب، أحضر معي دزينة من هذه الأوعية الصدفية، وعندما أرى بحارة غرقى وأرى أرواحهم تسبح خارجة من أجسادهم الميتة، أضع هذه الأوعية في طريقها فتلجأ إليها، للاحتماء من برودة الماء القارسة، فأغلق الوعاء عليها وآخذها معي للبيت. ألا تعتقد أنه من الأرحم لها البقاء في علب كهذه؟».

عقدت الدهشة لسان جاك، فاحتار بمَ يجيب. عادا إلى غرفة الطعام وتناولا القليل من البراندي الممتاز. فكر جاك بضرورة الرحيل لأن الوقت قد تأخر ولابد من أن زوجته بيدي ستستاء من ذلك، فوقف وأعلن أن عليه الانصراف. قال كومارا: «على راحتك يا جاك، لكن تناول قليلاً من الشراب قبل أن تغادر، فأمامك رحلة طويلة في هذا الجو البارد».

فقبل جاك كأس الوداع التي كان سيعتبر رفضها قلة تهذيب ولباقة، وقال متسائلاً: «هل تظن بأنني سأتمكن وحيداً من معرفة طريق العودة؟».

«ولِمَ لا أساعدك؟».

Twitter: @ketab_n

وحين خرجا من البيت معاً أخذ كومارا واحدة من قبعات الريش، ووضعها على رأس جاك ثم حمله على كتفيه ودفع به في الماء قائلاً: «والآن يا جاك عليك أن تصعد من الطريق نفسها التي مررنا فيها من قبل في أثناء مجيئنا، ثم ارمِ لي القبعة بعدها».

انطلق جاك كفقاعة يسبح في الماء هكذا: ويف ويز ويف ويز إلى أن وصل إلى الصخرة نفسها التي قفزا منها في الصباح، ومن فوقها ألقى بالقبعة في الماء فشقت طريقها للأسفل بسرعة كأنها حجر. لاحظ جاك أن الشمس هي الأخرى بدأت تهبط خلف مياه المحيط في ذلك المساء الصيفي الهادئ. وأن السماء صافية، تسبح فيها نجمة واحدة لا غير، تتلألأ عاكسة أضواءها الذهبية على أمواج الأطلسي. أدرك جاك أن الوقت قد تأخر حقاً على عودته فأسرع منطلقاً. حين وصل البيت لم يأتِ على ذكر تلك الرحلة بكلمة واحدة أمام زوجته بيدي. لكنه بقي حائراً بأمر الأرواح المحبوسة في أوعية الصدف، وفكر طويلاً كيف يمكنه تحريرها. خطر له طلب المساعدة من القس، لكن ماذا بوسع القس أن يفعل خاصة وأن كومارا لا يكترث لأمثاله، لا من قريب ولا من بعيد. ثم إن كومارا مخلوق طيب لا يدرك أنه يرتكب أي خطأ بحبسه تلك الأرواح، بل على العكس يظن أنه يساعدها، وهو

Twitter: @ketab_n

يُكّن له تقديراً خاصاً. وفوق كل هذا ليس من مصلحته إن عُرفَت عنه مصاحبته لعرسان البحر. في النهاية قرر أن أفضل خطة هي دعوة كومارا للعشاء ودفعه إلى الثمالة، ثم سرقة قبعته، والهبوط إلى بيته لتحرير الأرواح. لكن في البداية عليه إبعاد زوجته بيدي من طريقه، فلكونها امرأة - حسب رأيه - سترغمها طبيعتها على البوح بالسر. وتنفيذاً لخطته اقترح عليها القيام برحلة تعبد لبئر القديس يوحنّا بالقرب من «إينيس»، لتمضية نهارها هناك في الصلاة والدعاء لروحيهما. وبناء عليه رحلت بيدي في فجر أحد الصباحات اللطيفة بعد أن أعطته تعليماتها حول ضرورة إبقاء البيت في حالة نظيفة مرتبة أثناء غيابها. بعدها اتجه إلى الصخرة لإعطاء كومارا إشارة اتفقا عليها، وهي رمي حجر في الماء. قفز كومارا خارجاً بسرعة بمجرد سقوط الحجر في الماء، وصاح في وجه جاك: «صباح الخير يا جاك، ماذا تريد؟».

رد عليه جاك: «لا شيء يا سيدي، فقط أردت أن أتجرأ وأدعوك لتناول عشاء متواضع معي».

«بكل سرور يا جاك، في أي وقت عليّ الحضور؟».

«أي وقت يناسبك يا سيدي، الواحدة مثلاً؟ كي تتمكن من العودة لبيتك قبل حلول العتمة، ما رأيك؟».

Twitter: @ketab_n

قال كومارا: «اتفقنا سنكون معاً في الوقت نفسه ثق بكلامي».

فعاد جاك إلى بيته وقام بتحضير عشاء فاخر من السمك، وأخرج من أفضل الخمور الأجنبية ما يكفي لإسكار عشرين رجل. حين وصل كومارا وقبعة الريش تحت ذراعه، وجد العشاء جاهزاً في انتظاره. جلسا، فأكلا وشربا بشهية رجال أصحاء. لكن تفكير جاك ظل منصرفاً طوال الوقت لأمر الأرواح المحبوسة في بيت كومارا. فبالغ في صب البراندي لضيفه وشجعه على الغناء، آملاً في جعله يفقد وعيه ويسقط تحت الطاولة من السكر، ولم يفطن المسكين لكونهما يشربان في بيته حيث لا وجود للبحر فوقهما ليمنع عنه هو نفسه السكر. وهكذا فعلت البراندي برأسه ما كان عليها أن تفعله برأس كومارا الذي رحل عائداً لبيته تاركاً مضيفه ممدداً من السكر على الأرض كخرقة بالية. وهكذا لم يستيقظ حتى صباح اليوم التالي. حيث نهض معتكر المزاج وحزيناً مردداً لنفسه: «أي حماقة جعلتني أقتنع أنه بمقدوري إسكار ذلك الوغد دون أن أسكر أنا نفسي! وكيف سأتمكن من تحرير تلك الأرواح المحبوسة في أوعية الصدف؟». قضى كل يومه مفكراً على هذا النحو، ثم فجأة خطرت له

Twitter: @ketab_n

فكرة، فصاح وهو يضرب كفه على فخذه: «سأقدم لكومارا شراب البوتين القوي الذي لم يتذوق مثله في حياته الطويلة كلها، بهذا فقط أستطيع النيل منه. ولحسن حظي أن بيدي لن ترجع للبيت قبل يومين وهذا سيسمح لي بتجريب حيلتي على كومارا مرة أخرى».

وهكذا طلب من كومارا زيارته، لكن هذا سخر منه وقال أنه لم يرث بأس جده في تحمل الشرب. فأصر قائلاً: «أعطني فرصة ثانية، وسأثبت لك أنني سأشرب إلى ما لا نهاية من دون أن أثمل».

ردّ كومارا: «حسناً لنرى، سأعمل ما في وسعي لإثبات العكس».

وفي هذه المرة، حرص جاك على خلط خمرته بالماء حتى تصبح خفيفة ولا تجعله يثمل، وقدّم البراندي القوية لكومارا. ثم سأله قائلاً: «هل جربت في حياتك يا سيدي خمرة البوتين الجبلية المعتقة؟».

«لا لم أجربها، وماذا تكون هذه البوتين؟ ومن أين مصدرها؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب جاك: «أوه، هذا سر، لكنها المادة المطلوبة. وأعدك إن لم تجدها أكثر روعة من البراندي أو حتى «الرم»[1] بألا تصدقني مرة أخرى. لقد أرسلها لي أخ زوجتي بيدي، وقد وفرتها لصديق عزيز مثلك».

فردّ كوومارا: «حسناً، لنر كيف تكون هذه البوتين».

وفي الحقيقة كانت البوتين نوعاً ممتازاً من الخمر ما زال جديداً، ولم تنزع دمغته عنه بعد، مما أسعد كومارا كثيراً فشرب وغنى: «رم بوم بودل بو ثانية وثالثة ورابعة، ثم رقص وضحك حتى وقع أرضاً وغطّ في نوم عميق. فقام جاك الذي كان يحاذر طوال الوقت ألا يسكر، بخطف قبعته من تحت ذراعه والركض بسرعة نحو الصخرة، وقبل مضي وقت طويل، رأى نفسه في بيت كومارا. وجد المكان هادئاً وخالياً تماماً كأنه باحة كنيسة في منتصف الليل. فدخل على عجل، ليقلب جميع الأوعية التي من المفترض أنها تحمل أرواحاً في داخلها. لم ير شيئاً أثناء قلبها، مما أدهشه، وتذكر قول القس إن الأرواح لا تُرى، مثلها مثل الريح أو الهواء. لكنه سمع صفيراً أو أزيزاً خفيفاً ينبعث من داخل كل واحدة بعد قلبها. وحين انتهى منها كلها، وأعاد الأوعية مثلما

---

(1) Rum رم: شراب كحولي (م).

Twitter: @ketab_n

كانت مقلوبة على أفواهها، ودعا لتلك الأرواح المحررة بالتوفيق والبركة أينما كان طريقها وكيفما كان مصيرها، فكر بضرورة العودة، فاعتمر القبعة على عجل، ولم ينتبه أنه أخطأ في وضعها، لذلك حين خرج كان الماء عالياً جداً فوق رأسه، حيث يصعب الوصول إليه، خاصة وأن كومارا ليس موجوداً معه ليعطيه دفعة قوية مثلما حدث في المرة السابقة. مشى باحثاً عن سلم فلم يجد واحداً، ولم يعثر حتى على صخرة، يمكنه تسلقها. لكنه لمح أخيراً بقعة يبدو فيها سطح البحر أكثر انخفاضاً من الأماكن الأخرى فقرر أن يحاول في تلك البقعة. وفي اللحظة نفسها التي وصل إليها، تدلى ذيل سمكة قُد[1] أمامه، فقفز بمهارة وأمسك به. قامت السمكة المندهشة بالاندفاع سريعاً نحو الأعلى ساحبة إياه معها. وبمجرد أن لامست القبعة الماء، انجرف نحو الأعلى بخفة سدادة فلين، جاراً السمكة معه، فقد نسي أن يُفلت ذيلها. وبلمح البصر حط على الصخرة في الوقت المناسب. أسرع فوراً متجهاً للبيت والسعادة تغمره لأنه تمكن من القيام بعمل خير. وفي تلك الأثناء كان في انتظار صديقنا جاك ما يفعله في البيت. فما كاد يغادر قاصداً بيت كومارا في رحلة تحرير الأرواح تلك حتى عادت بيدي من رحلتها في الدعاء لروحيهما عند بئر القديس يوحنا.

---

(1) Cod سمك القد من أسماك شمالي الأطلسي (م).

Twitter: @ketab_n

وعندما دخلت البيت ورأت الأشياء مبعثرة هنا وهناك، قالت في نفسها ساخرة: «جيد جداً. يا له من حارس أمين زوجي هذا، أي حظ أعوج جعلني أتزوجه، لابد من أنه قضى وقته يشرب برفقة عاطل ما، بينما أرسلني أصلّي لأجل روحه. الأنكى أنهما كانا يشربان البوتين، الذي أرسله أخي هدية لنا!».

ثم سمعت صوت شخيرآت من تحت المائدة فانحنت وأطلت برأسها لترى كومارا نائماً هناك، فصاحت بفزع: «ساعديني يا مريم المباركة، لقد شرب زوجي حتى تحوّل إلى وحش، نعم لقد سمعت الكثير من القصص عن أناس يحولهم الشراب إلى وحوش، جاك يا عزيزي، جاك يا حبيبي ماذا يمكنني أن أفعل بك، أو ما الذي يمكنني فعله من دونك؟ كيف يمكن لامرأة محترمة مثلي العيش مع وحش؟».

وبسرعة قصوى اندفعت خارجة من البيت من دون أن يكون في نيتّها التوجه إلى أي مكان محدد. ثم سمعت صوتاً مألوفاً يغني. ففرحت حين رأت أن جاك بخير، وأنه لم يتحول لذلك المخلوق الذي لا هو سمكة كاملة، ولا إنساناً كاملاً. ولم يجد جاك مفراً من إخبارها بالقصة كلها. ورغم انزعاجها منه لعدم إطلاعها على الموضوع من قبل، إلا أنها كانت فخورة بما فعله

Twitter: @ketab_n

لتخليص الأرواح من أسرها. وهكذا دخل جاك بيته ويده بيدها. أيقظا كومارا الذي كان في غاية الحرج لأنه فقد السيطرة على نفسه وثمل وعزا ذلك لتذوقه البوتين القوي لأول مرة. فاقترح عليه جاك لاستعادة وعيه بالكامل، والتخلص من السكر تماماً شرب كأس أخرى منها، مردداً النصيحة التي تقول: «وداوِها بالتي كانت هي الداء»، لكن كومارا رفض بشدة، معلناً أنه نال أكثر من كفايته. ودون كلمة وداع واحدة غادر بيت جاك متجهاً نحو الماء المالح كي يطرد آثار الخمرة من رأسه. ومن بعدها لم ينتبه البتة لاختفاء الأرواح من أقفاصها، بينما حقق تحريرها لجاك الرضا والفخر بالنفس. واستمرا يلتقيان كصديقين عزيزين لعدة سنوات، حتى صادف أحد الصباحات، وألقى جاك بالحجر في الماء ، لكنه لم يلقَ جواباً من كومارا. فرمى بآخر، ثم آخر، وبقي من دون جواب. فغادر وعاد في اليوم التالي ليقوم بالمثل، لكن دون جدوى. ولأنه لا يملك قبعة الريش فلم يكن بمقدوره الغوص للأسفل، لاكتشاف ما حل بصديقه العجوز كومارا. استمر الحال هكذا حتى اقتنع بأن الرجل أو السمكة أو الشيء الذي كانه كومارا، إما قد فارق الحياة، أو هجر العيش في تلك البقعة من البلاد.

Twitter: @ketab_n

جنازة فلوري كانتيلون

توماس كروفتون كروكر

اعتاد آل كانتيلون دفن موتاهم في جزيرة عند خليج «بالي هيج»[1]، على مقربة من الشاطئ، في جزء من ساحل «كيري». وهي منطقة كانت منذ عهد قريب مغمورة بمياه الأطلسي. حيث زعم بعض الصيادين أنهم تمكنوا، عدة مرات، من رؤية آثار جدران كنيسة قديمة تحت الماء، وذلك في أثناء اجتيازهم لمياه البحر الخضراء الصافية، في إحدى الظهيرات المشمسة. وقد تكون قصة الكنيسة هذه صحيحة، أو غير صحيحة، لكنها بالتأكيد تبرر ارتباط عائلة كانتيلون القوي (مثلما هو حال جميع العوائل الآيرلندية) بمدافنهم القديمة، ومحافظتهم على ذلك التقليد، حيث اعتادوا عند وفاة أي فرد من العائلة على حمل الجثمان إلى شاطئ البحر وترك الكفن ممدداً على الرمل، قريباً من الموج، ليختفي في الصباح من تلقاء نفسه. وقد ساد اعتقاد راسخ بينهم بأن أرواح أجدادهم السابقة تأتي لاصطحاب أرواح الأحفاد اللاحقة إلى مدفن العائلة. وكونور كرو، المعروف بين الناس باسم «كونور ماكان كرو، من الحي

(1) Ballyheigh bay خليج بالي هيج في آيرلندا (م).

Twitter: @ketab_n

السابع في برينتاج» (وقد كان فخوراً جداً باسمه هذا) والذي تربطه علاقة مصاهرة مع عائلة كانتيلون، والمعتاد على شرب ربع زجاجة من الماء المالح (لفوائده الطبية) قبل الفطور، وضعف الكمية من الويسكي، دون خلطها بالماء (للأسباب الطبية نفسها) – حسب اعتقادي – بين الفطور والعشاء، قرر في جنازة فلورنس كانتيلون وضع حد لشكوكه حول قصة الكنيسة الغارقة تحت الماء، وأرواح الأجداد الذين يتسللون عند الفجر لدفن الأموات الجدد. فبمجرد سماعه خبر موت فلورنس العجوز، انطلق باتجاه «أردفيرت» حيث مُددت جثة فلورنس الجميلة، بجلال وفخامة لا مثيل لهما. وقد عُرف عن المرحوم حبه للهو والمرح منذ صغره وحتى وفاته، لذلك استحق أن يُسهر على جثمانه، وأن تكون ليلة وداعه صاخبة مليئة بكل أنواع التسالي. وهكذا كان بالفعل، حتى إن ثلاث صبايا حصلن – لحسن حظهن – على عرسان لهن في تلك الليلة. وقد جرى كل شيء على أحسن ما يرام، وتمكن من حضور قدّاس الجنازة جميع من في المقاطعة من «دينجل» إلى «تاربيرت»، وجرى وداع الجثمان بأغنيات طويلة مفعمة بالحزن. وحسب عادات العائلة وطقوسها، جرى حمل الكفن إلى خليج «بالي هيج» حيث تُرك ممدّداً على الشاطئ،

Twitter: @ketab_n

بعد أن تمت الصلاة على روحه. وبدأ المعزون يغادرون تباعاً، باستثناء كوونر كرو، الذي سحب زجاجة الويسكي (قطرة الراحة كما يسميها) من جيبه، ثم جلس على حجر كبير في ظل صخرة مدببة، غير مرئي تقريباً، ينتظر ظهور تلك الأشباح التي تسحب الأكفان.

كان المساء لطيفاً يشرح الصدر، فغنى كونور لحناً قديماً سمعه في طفولته، كي يطرد أي خوف يمكن أن يتسلل إلى نفسه، لكن اللحن الحزين أيقظ فيه آلاف الذكريات التي جعلت ضوء منتصف الليل الشحيح أكثر كآبة.

قال في نفسه: «آه.. كأنني بالقرب من برج دونمور الموحش، في بلدتي الغالية، من السهل علي أن أتخيل أن السجناء الذين قتلوا هناك في السراديب، منذ زمن بعيد، هم تلك الأيدي التي تأتي لحمل الأكفان بدافع الغيرة. فالمساكين لم يحظوا بشرف الدفن باحترام، أو حتى بوضعهم في التوابيت. وكم من مرة سمعت نواحاً وعويلاً، قادمين من تلك السراديب في قلعة دونمور».

قال ذلك ثم صمت لحظة ملصقاً شفتيه باستمتاع بفوهة الزجاجة، تابع بعدها محدثاً نفسه: «لكنني كنت شبه واثق دوماً من أن تلك الأصوات الكئيبة ما هي إلا ارتطام الموج بتجاويف

Twitter: @ketab_n

الصخور، قبل أن تتشظى إلى زبد. آه يا قلعة دونمور، أنت إذن ببرجك المظلم، وبتلك التلال الحزينة من خلفه، تضاعفين ضيق وكآبة أي إنسان ينظر إليكِ، حيث تبدين مثل شبح من دخان، صاعداً من رماد عشب البحر، هناك، ليحرسنا الرب، يُصاب الناظر إليك بفزع، كأنه يحدق في بحيرة «الرجل الأزرق» عند منتصف الليل».

ثم صمت مرة أخرى، تابع بعدها تأملاته قائلاً: «أليس من المفروض أن تكون هذه ليلة مباركة، على الرغم من شحوب القمر؟ آه، ليحمنا القديس سينان[1] من كل مكروه». أما في الواقع فإن ذلك المساء كان بديعاً. فقد بدا كل شيء طبيعياً كالمعتاد، الصخور المعتمة، المحاطة بحصى الشاطئ الأبيض، وموج البحر الذي يتكسّر مصدراً همهمة حزينة، لكنه شعر بالضيق، رغم ذلك، وبدأ يحس بالندم على فضوله.

والحقيقة أنه ليس من السهل البقاء وحيداً مع كفن أسود، ممدداً على رمل الشاطئ الأبيض، وسط عتمة الليل المبهمة. فبالتدريج صار يخيّل إليه أن صوت المحيط المعهود ما هو إلا نواح محزن على الميت، وأن ظلال الصخور أخيلة غريبة لأشكال وأشخاص.

(1) قديس آيرلندي يعود إلى القرن الخامس ميلادي (م).

Twitter: @ketab_n

ومع مرور الوقت ازداد إرهاقه من الانتظار والمراقبة، وقد ألقى القبض على نفسه أكثر من مرة وهو على وشك أن يغفو، فكان يهز رأسه ثم يتابع التحديق في الكفن الأسود الساكن أمامه.

وحين قارب الليل على الانتصاف، وبدأ القمر يغرق خلف البحر، سمع شيئاً كأنه مزيج من عدة أصوات، أخذ يعلو ببطء، ليصبح أكثر حدة من صوت الموج. فأصاخ السمع متنبهاً لوجود لحن حلو، خفيف لكنه حزين، كأنه عويل يمتزج بنعومة بصوت المد والجزر المعتاد. ثم صار العويل يعلو بالتدريج حتى وصل إلى الشاطئ، وتحول إلى بكاء خفيف بصوت منخفض، فاستطاع أن يرى عبر الضوء الخافت عدداً من الأشخاص بهيئات غامضة، ينبثقون من البحر. تحلقوا حول الكفن ثم بدأوا يستعدون لحمله وسحبه معهم إلى الماء. وقال أحدهم بلهجة واضحة، جافة: «هذا ما نجنيه من الزواج من أبناء الأرض».

فأجاب آخر بلهجة أكثر خشونة، وإثارة للخوف: «هذا صحيح، فمن المستحيل أن يأمر ملكنا أمواجه ذات الأسنان البيضاء بملامسة الجذور الصخرية لمقبرة الجزيرة، لولا أن ابنته دورفولا مدفونة هناك من قِبل زوجها الآدميّ».

Twitter: @ketab_n

فقال ثالث، وهو ينحني على الكفن: «لكن الفرَجَ سيأتي، حين تسمع وتبصر ما نفعله الآن نفس آدمية».

ورد رابع: «حينها سنتوقف للأبد عن دفن آل كانتيلون». وبمجرد أن نطقوا ذلك، امتدت موجة من عرض البحر، وحملت الكفن معها، فساروا من خلفها، لكن فجأة، لمح أحدهم كونور المتجمد في مكانه من الدهشة والخوف. فصاح: «جاء وقت الفرج، العين الآدمية رأتنا، الأذن الآدمية سمعتنا، وداعاً يا آل كانتيلون. ها قد تحررنا، نحن أبناء البحر، من عبوديتنا لكم يا أبناء الأرض. لم نعد مجبرين على دفنكم بعد اليوم». وصاروا يدورون واحداً خلف الآخر مُحيّين كونور كرو، الذي بقي جامداً أخرسَ كالمسحور. وانطلقوا منشدين أغنيتهم الجنائزية، راحلين بصحبة الكفن، على متن الموجة التالية. ابتعد صوت العويل شيئاً فشيئاً، ثم لم يعد يُسمع بعدها سوى صوت تدافع الأمواج. هبط الكفن مع قافلة «أناس البحر»[1] بالقرب من الكنيسة القديمة. ومنذ ذلك الحين لم يعد يُحمل أي ميت من آل كانتلون إلى خليج «بالي هيج» ليدفن في (مقبرتهم الخاصة) تحت أمواج الأطلسي.

---

(1) أناس البحر: الجن الذين يعيشون تحت الماء (م).

Twitter: @ketab_n

الجن المنعزلون[1]
ليبركان، كلوريكان، فارداريج[2]
الليبريكان[3] أو الجنيّ الإسكافي

(1) Solitary Fairies الجن المنعزلون. لا يرون إلا منفردين. يرتدون معاطف حمراء بسبعة دروب من الأزرار، و بسبعة أزرار في كل درب، من فوقها معاطف لرد الجليد، وقبعات معقوفة. يقفزون على الجدران استعداداً للشغب حين يرغبون فيه. هناك عدة أنواع منهم: اللوبريكان: وتعني الجني الإسكافي، ثم كلوريكاون، وفاردارغ ويجمع كتابُ الحكايات على أنهم عجائز قبيحو المنظر ويعيشون منعزلين، وهم على الأغلب أكثر الجن خبثاً وشيطنة (المؤلف).

(2) انظر الهامشين 1و 3.

(3) The lepracaun كلمة تعني في الأصل الجني (صانع الحذاء الواحد) لأنه دائماً يرى منشغلاً بصناعة حذاء واحد (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

وليام آلينجام

1

ما الذي تسمعه يا راعي البقر الصغير

فوق التلة الخضراء؟

أهو صوت الطائر الأصفر

حين غنّى في الحقول الرطبة الممتدة من حولك:

تشيري، تشيري، تشيري، تشي بي؟

أم كان غناء الجندب والنحلة؟

تب تاب، رب راب، تيكا تاك توو!

جلد أرجواني يُخاط،

يشد نحو اليسار، ثم يسحب إلى اليمين،

ليغدو عما قريب حذاء.

في أيام الصيف الدافئة،

Twitter: @ketab_n

أو تحت الأرض في الشتاء،

شيء ما يسخر من العاصفة.

ألصق أذنك بتراب الهضبة،

ألا تسمع ضجة خفيفة؟

كصوت مطرقة القزم الصغير مثلاً؟

أو كغناء الجنيّ الإسكافي؟

لسانه ينشد سعيداً، ويداه لا تتوقفان،

قامته شبر واحد،

أتراه؟

يا لك من محظوظ إن أمسكته.

Twitter: @ketab_n

2

ها أنت تقضي الصيف كله، تراقب الأبقار ترعى،

عشاؤك البطاطا وفراشك القش،

ما رأيك لو فكرت مرة بركوب العربة، وهبوط التلة

لتبحث عن عروس لك؟ ابنة دوقة مثلاً؟

ابحث عن صانع أحذية في دربك،

كي تقتني لنفسك شيئاً:

كجزمة صيد طويلة الساق،

أو صندلاً للمشي في الردهات،

حذاءً أبيض أنيقاً لحفلة العرس،

أو زهرياً لحفلة الرقص،

أو كيفما كان.

Twitter: @ketab_n

فصانع الأحذية دائماً في الخدمة،

يزداد غناء مع كل درزة

ومن تك تاك توو،

ذاك الجنيّ الإسكافي البخيل،

ملأ بالذهب تسعة وتسعين جرة

مدفونة في الجبال والغابات وتحت الصخور،

أو في حطام الأبراج والقلاع والكهوف والتلال،

و في الأماكن التي يحرسها، منذ القديم، طائر الغاق[1]

(1) طائر الغاق: طائر مائي شره (م).

Twitter: @ketab_n

3

وقد رأيته بنفسي ذات يوم قرب خندق القلعة،

حيث ينمو نبات قفّاز الثعلب[1]

جني قزم، مجعّد الوجه، ذو لحية ذابلة،

ونظارة فوق أنفه المدبب.

إبزيم سرواله القصير فضي

وحول خاصرته مئزر جلدي.

«رب راب، تب تاب، تك تاك توو

إن دخل الجندب قبعتي، طارت منها العثة».

جزمة نصفية للأميرة الجنية،

حذاء رخيص للولد الصغير الفقير،

(1) قفاز الثعلب: اسم نبات له ثمار مثل العنب (م).

Twitter: @ketab_n

لكن رجاء، ادفع أجرة جيدة، بعد انتهاء العمل.

صدقني ذاك الإسكافي الوغد

كان في قبضتي دون شك.

تبادلنا النظرات طويلاً

وقال لي: «في خدمتك يا سيدي»،

ثم أمسك علبة سعوطه[1] ونشق طويلاً،

وبدا مرتاحاً سعيداً،

وقبل أن يعيدها للدُرج، قدّمها بلباقة إليّ،

«وو وو بووف»

نفخ المسحوق في وجهي،

وبينما عطستُ،

تبخّرَ من أمامي.

(1) السعوط: نوع من المسحوق (البودرة) التي يتنشقها بعض الناس كدواء لانسداد الأنف فيعطسون عدة مرات متتالية (م).

Twitter: @ketab_n

الرجل والسيد
توماس كروفتون كروكر

كان بيلي ماك دانيال واحداً من الشبان الذين لم يكترثوا يوماً لحضور احتفال القديس بطرس. ومن الذين لم يتبرعوا يوماً للكنيسة أو يمنحوا فلساً لمسكين. فكل همه هو الشراب: كيف يحصل عليه، من يدفع لأجله، وكيف يستمتع به. وفي صحوه أو سكره، تكفيه مجرد كلمة واحدة ولكمة، لإنهاء مشاجرة أو بدئها.

وبالإضافة لاستهتاره وخفة طبعه، فقد تورط بصحبة سيئة. وأي رفقة أكثر شراً من رفقة الجن. ففي إحدى المرات، أثناء عودته للبيت بعد فترة عيد الميلاد بقليل، في ليلة باردة قمرها بدر ساطع، أحس بوخز البرد في عظامه، فمشى يحدث نفسه، قائلاً: «أقسم بشرفي أن قطرة واحدة من الخمر تمنع روح الرجل من التجمد في هذا البرد القارس، لكم أتمنى لو عندي الآن زجاجة كاملة من أفخر الأنواع».

Twitter: @ketab_n

وعلى الفور، ظهر رجل صغير من الجن، يعتمر قبعة معقوفة، ومحبوكة بخيوط مذهبة من كل الجهات. وفوق حذائه الضخم إلى حدّ يبدو من الغريب أن يتمكن من رفعه عن الأرض، إبزيم كبير من الفضة، وفي يده زجاجة كبيرة بمقدار حجمه هو نفسه، مليئة بخمر ممتاز، لم تذق شفة أطيب منه.

خاطب بيلي قائلاً: «لستَ بحاجة لأن تتمنى مرتين يا بيلي».

فأجابه بيلي دون اكتراث، أو رهبة منه لكونه واحداً من الجن: «بصحتك، وشكراً جزيلاً يا عزيزي، ولا يهمني من سيدفع ثمنها».

ثم تناول الكأس وأفرغها دفعة واحدة في جوفه.

فقال الجني: «بصحتك يا بيلي، على الرحب والسعة. لكن لا تفكر بخداعي مثلما تفعل مع الآخرين. هيا اخرج محفظتك، وادفع لي ثمنها مثل سيّد مهذب».

فرد بيلي: «أنا! أنا أدفع لك؟ ألا يمكنني عوضاً عن ذلك وضعك في جيبي كحبة توت؟».

Twitter: @ketab_n

فصاح الجني الصغير بغضب: «بيلي ماك دانيال، ستصبح خادمي لسبع سنوات ويوم. وهكذا ستسدّد لي ثمن الخمر. هيا استعد لمرافقتي».

أسِفَ بيلي بعد سماعه هذه الكلمات لوقاحته مع الجنيّ، ولم يعرف لِمَ بالضبط شعر بواجب طاعته، وأن يتبعه طوال الليل من دون استراحة أينما ذهب، أساقية أم سوراً أم مستنقعاً ذاك الذي سيجتازه.

وعند حلول الفجر التفت الجني نحوه قائلاً: «يمكنك الانصراف الآن يا بيلي، لكن تذكر أنك ستخاطر بنفسك إن لم تأتِ للقائي ليلاً في حقل القلعة كما أوصيتك، لأن ذلك لن يكون لصالحك على المدى البعيد. إن أثبت طاعتك لي، فستجدني سيداً كريماً جداً». رجع بيلي إلى بيته منهكاً، وأحس حين أفاق أنه لم يشبع نوماً، لكنه لم يستطع الإخلال بوعده في لقاء الجني كما اتفقا.

وما كاد يصل إلى هناك حتى جاء الجني وخاطبه على الفور قائلاً: «أمامنا رحلة طويلة يا بيلي هذه الليلة، فاسرج حصانين من خيولي، واحداً لي، وآخر لك، فلا بد من أنك ما زلت متعباً من ليلة أمس وستحتاج إليه».

Twitter: @ketab_n

أحس بيلي بالامتنان لما أبداه سيده الجني من رقة واهتمام نحوه، فشكره قائلاً: «ولكن أتسمح لي بأن أسألك كيف يمكنني الوصول إلى إصطبلك، فإني لا أرى حولي إلا حقل القلعة، وشجرة الزعرور القديمة على أطرافه، والجدول المتدفق عند أسفل الهضبة، وذلك المستنقع الصغير فوقها».

«لن أسمح لك ولو بسؤال واحد. اذهب إلى ذلك المستنقع الصغير المقابل لنا فحسب، واقطع أمتن الأغصان من نبات الأسل، وأحضره لي بسرعة».

وفعل بيلي ما أمر به من دون أن يفهم ما الهدف من ذلك بالضبط، فقطع أقوى غصنين وجدهما، ما زالت عليهما بعض البراعم، ثم جلبهما لسيده. أخذ الجني واحداً من الغصنين ووضعه تحته وقال: «هيا اركب يا بيلي».

فقال بيلي: «وأين سأركب يا سيدي؟».

رد الجني مستغرباً: «أين! على ظهر الحصان طبعاً، مثلما فعلتُ أنا!».

Twitter: @ketab_n

قال بيلي: «أتريدني أن أبدو أحمق بركوب ذلك الغصن على أنه حصان! أم ترغب بإقناعي أن هذين الغصنين اللذين قطعتهما بنفسي منذ لحظات، هما جوادان بالفعل؟».

فأجاب الجني غاضباً: «هيا، هيا اركب، ولا تجادل. إن أفضل حصان ركبتَه في حياتك مجرد جحش معتوه بالمقارنة مع هذا».

فكر بيلي بأن كل ما يجري ما هو إلا مزحة، لكنه لم يرغب بإغضاب سيده، فمثّل الركوب على الغصن كأنه صهوة حصان حقيقي. عندها صاح الجني ثلاث مرات: «بورام، بورام، بورام» (وهي تعني كُن جيداً)، وفعل بيلي بالمثل، وعلى الفور تحول الغصنان إلى حصانين رائعين انطلقا بأقصى سرعة. ولكن بيلي الذي ركب فوق غصنه من دون اكتراث أو حذر كما يتوجب عليه حين يركب حصاناً حقيقياً، وجد نفسه راكباً بالمقلوب، ولم يستطع تصحيح وضعيته بعدما انطلق، وبدلاً من الإمساك باللجام، أمسك بذيل الحصان.

توقفا في نهاية الرحلة أمام بيت فخم. وقال الجني: «هيا يا بيلي افعل مثلما أفعل، وابقَ قريباً مني، وكما لم تعرف التفريق بين اللجام وذيل الحصان، فلن تمانع إن لف رأسك ودار، حتى يصبح من الصعب عليك التمييز إن كنت تقف عليه، أم على

Twitter: @ketab_n

كعبيك. فكر بتلك الخمرة التي تقدر على جعل القطة تتكلم، فإنها تستطيع تحويل الرجل إلى أبله». ثم نطق ببعض الكلمات الغريبة التي لم يتمكن بيلي من استيعابها لكنه قام بتكرارها خلفه رغم ذلك، مما مكنهما من عبور ثقب مفتاح الباب، ثم عبرا أكثر من ثقب بالطريقة نفسها، حتى وصلا إلى مخزن الخمرة، الذي كان مليئاً بكل أنواعها.

أخذ الجني يشرب بكل ما لديه من عزيمة، وشعر بيلي المولع بالشراب، بالسعادة الغامرة لأنه سيقلد سيده في هذا الأمر أيضاً، فاندفع يشرب بحماسة هو الآخر، مخاطباً الجني بالقول: «لا شك بأنك أفضل سيد لي على الإطلاق، بغض النظر عمن سيأتي بعدك. سأبقى راضياً في خدمتك طالما أنك تعطيني الكثير من الخمرة لأشرب». فرد الجني: «لم أعقد معك أي صفقة من هذا النوع، ولن أفعل. هيا انهض واتبعني». وعادا من الطريق التي جاءا منها، عبر ثقوب الأبواب، حتى ركبا صهوتي الغصنين، اللذين بمجرد سماع الكلمات الثلاث «بورام بورام بورام» انطلقا يرفسان الغيوم بأقدامهما، كأنها ليست إلا كتلاً طرية من الثلج. وعند وصولهما إلى حقل القلعة، أطلق الجني سراح بيلي، بعد أن أمره بالحضور في الساعة نفسها من الليلة التالية.

Twitter: @ketab_n

واستمرا هكذا ليلة، بعد أخرى، يقضيان الوقت مرة هنا، ومرة هناك، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، حتى لم يبقَ بيت سيد واحد، بمستودع خمرة مرموق في آيرلندا كلها لم يجرباه، أو لم يعد بإمكانهما التحدث عن مذاق كل خمرة فيه، أكثر مما يستطيع الساقي نفسه أن يفعل. وفي إحدى الليالي، عندما جاء بيلي للقاء سيده، وبينما همّ بإحضار الغصنين اللذين سيصبحان حصانين، سمعه يقول: «أريد حصاناً آخر الليلة يا بيلي، فربما سنحتاج إليه لركوب شخص آخر، سيرافقنا في طريق عودتنا».

فمضى بيلي الذي تعلم ألا يسأل سيده شيئاً بعد تلك الليلة، وأحضر غصناً ثالثاً، مفكراً من تُراه سيركب عليه في طريق العودة، وهل من المعقول أن ذلك الشخص سيصبح خادماً له، فحدث نفسه قائلاً: «إذا صار عندي خادم، سأرسله كل ليلة لإحضار الجياد من المستنقع. ولِمَ لا يكون عندي خادم، فأنا لست أقل من سيدي بشيء!».

وهكذا انطلقا ممسكين بلجام الحصان الثالث، ولم يتوقفا حتى وصلا بالقرب من بيت ريفي بسيط في مقاطعة «ليمريك» التابعة لقلعة «كاري جوجونييل»، الذي يقال إن «بريان بورو» العظيم قد بناها. وفي داخل البيت كانت تجري حفلة صاخبة. توقف

Twitter: @ketab_n

الجني في الخارج محاولاً الإصغاء ثم استدار نحو بيلي فجأة وقال: «اسمع يا بيلي، غداً سيصبح عمري ألف عام».

رد بيلي: «ليباركنا الرب يا سيدي ، أهذا صحيح؟».

أجابه الجني بامتعاض: «لا تقل هذا مرة أخرى يا بيلي[1]، وإلا حطمتك للأبد. لكن لن أخفي عليك بما أنني وصلت إلى هذا العمر فصار من الضروري أن أتزوج».

قال بيلي: «صحيح. لكن هذا إن كنت حقاً ترغب بالزواج». فأوضح الجني قائلاً: «نعم، ولذلك قصدت هذا البيت في كاري جوجونبيل في هذا الوقت بالذات لأن الصبية داربي رايلي، التي تعيش فيه، ستزف الليلة إلى بريجت روني، وبما أنها ممشوقة القوام، ولطيفة، ومن عائلة محترمة، فقد قررتُ أن أتزوجها بنفسي، وآخذها معي».

فسأله بيلي: «وما سيكون موقف العريس داربي رايلي؟».

فصرخ الجنيّ بحدة وحزم: «اصمت. لم أحضرك معي لتطرح عليّ الأسئلة». ودون قول المزيد، بدأ الجني مباشرة بترديد كلماته الغريبة ذات المفعول العجيب، والتي مكنته

---

(1) أي ذكر الرب وبركته التي تغيظ الجن غالباً (م).

Twitter: @ketab_n

دائماً من المرور في ثقوب الأبواب بحرية كالهواء، والتي ظن بيلي نفسه بمنتهى الذكاء لتمكنه من تكرارها واستخدامها هو أيضاً. لكن بعد أن صارا في الداخل، وكي يتمكنا من معاينة الموجودين بوضوح، صعد الجني بخفة طير على إحدى العوارض الممتدة فوق جميع الرؤوس، وتربع هناك. وكذلك فعل بيلي فوق عارضة مقابلة له. ولأنه غير معتاد على الجلوس في مكان غريب كهذا، فقد بقيت قدماه متدليتين في الهواء، على عكس الجني، الذي استقر براحة تامة، كأنه قضى كل حياته منحنياً فوق عمله كخياط محترف. بقي الاثنان على تلك الحال يراقبان ما يحدث في الأسفل. من تحتهما جلس القس وعازف المزمار ووالد العروس داربي رايلي مع أخويها وابن عمها، ومعهم كان والد العريس وأمه. وقد بدا والدا العروس فخورين بابنتهما التي تستحق ذلك، وكذلك أخواتها الأربع اللواتي زين قبعاتهن بشرائط جديدة، وإخوتها الثلاثة الذين يظهرون بغاية النظافة واللباقة كأي ثلاثة شبان من «مونستر» وأعمامها وخالاتها وصديقاتها المقربات، وبنات عمها اللواتي كن من الكثرة بحيث ملأن البيت. وكان هناك ما يكفي من طعام وشراب لضعف عدد هؤلاء جميعاً.

Twitter: @ketab_n

وحدث أنه في لحظة إقدام السيدة روني على البدء بتقطيع اللحم، والإعلان عن بدأ الوليمة، وبينما انشغل المدعون بتناول أول لقمة، عطست العروس فلم يتمكن أحد من مباركتها بقول: «ليباركنا الرب». وقد فكر الجميع أنه ربما من واجب القس، على الأقل بسبب منصبه الديني، المسارعة لقول تلك الجملة، إلا أنه لم يفعل، وظل فمه منشغلاً باللحم والخضار. وبعد فترة صمت قصيرة عاد الهرج والمرج دون أن ينطق أحدهم بكلمات المباركة. أما بيلي والجني فكانا يراقبان ما يحدث بانتباه من موقعهما. حرر الجني إحدى ساقيه من تحته، وطوّحها بمرح في الهواء، بينما شعت عينه ببريق غريب تحت حاجبه المعقوف، وهو يقول: «ها» ثم كررها ثانية، حانياً جسده نحو العروس «ها»، وبعدها نظر إلى بيلي وقال: «إن نصف العروس ملكي الآن. إن عطست مرتين بعد، تصبح كلها لي، رغم أنف القس وكتاب صلواته وهي نفسها».

ومرة أخرى، عطست العروس الجميلة، عطسة خفيفة هذه المرة، لكنها احمرت خجلاً، عندما لم ينتبه أحد من الموجودين، باستثناء الجني، لأن يبارك خلفها. تأمل بيلي العروس بأسى وشفقة طوال ذلك الوقت، مفكراً بمصيرها البائس، وكيف

Twitter: @ketab_n

سيكون عليها الزواج من عجوز قبيح خسيس تجاوز عمره الألف عام ويوم، وهي الشابة ذات التسعة عشر عاماً، ذات العينين الواسعتين الزرقاوين، والبشرة النضرة الشفافة، والغمازتين الجذابتين، والمفعمة مرحاً وحيوية! وفي تلك اللحظة الحرجة عطست العروس عطستها الثالثة، فصاح بيلي بكل قوته: «فليباركنا الرب» وسواء قالها بإرادة وتصميم، أم من غير وعي، بدافع العادة وحدها مثلاً، وهذا ما لم يكن هو نفسه بقادر على معرفته، فقد احمر بعد نطقها وجه الجني من الغضب والخيبة، وانزلق عن العارضة التي كان يجلس عليها، وصرخ بصوت حاد كأنه يتمزق: «أنت مطرود من خدمتي يا بيلي ماك دانيال، وهذه أجرتك». ثم ركله ركلة قوية جداً على ظهره جعلته يطير ثم يحط على وجهه ويديه تماماً في منتصف طاولة العشاء. دُهش بيلي طبعاً لما حدث له لكن دهشة المدعوين وهم يرونه يسقط أمامهم على الطاولة دون أدنى مقدمات، كانت أكبر بكثير. وعند سماعهم قصته، وضع الأب كوني شوكته وسكينه جانباً وقام بإنهاء مراسم الزواج في الحال. وفي أثناء حفلة العرس رقص بيلي ماك دانيال رقصة «الرنكا»، وشرب الكثير من الخمرة أيضاً، وهذا أكثر ما كان يهمه.

Twitter: @ketab_n

فاردارنج في دونجال
ليتيشيا ماكلنتوك

كان بات دايفر السمكري معتاداً على حياة التشرد واللجوء إلى أماكن غريبة جداً لقضاء لياليه. ومرات عدة تدثّر ببطانيات المتسولين في الأكواخ العابقة بالدخان، وطوى جسده ونام بجانب أنابيق[1] تقطير الخمر في جبال «أنشوين» الموحشة. بل إنه أغفى فوق القش في العراء، وفي الخنادق المكشوفة، حيث لا تستره سوى قبة السماء. لكن كل ما مر على رأسه لا يقارن بتلك الليلة تحديداً. ففي نهار تلك الليلة الغريبة، قام بإصلاح جميع الأباريق والأواني في بلدة «موفيل» و«جرين كاسل» وحلّ المساء عليه فجأة، وهو لا يزال في الطريق الجبلية المعزولة، متجهاً إلى «كولداف». وهكذا اضطر لطرق العديد من الأبواب طلباً للمأوى، متحسساً القروش القليلة في جيبه، لكنه قوبل بالرفض. ومضى مبتعداً صوب ضوء أحد البيوت الصغيرة، مفكراً بسر هذا البخل الذي لم يعهده من قبل في

(1) أنابيق تقطير الخمر: معدات مخصصة لصناعة الكحول، تتضمن مراجل وأنابيب وقدور، تركب داخل بناء خاص لتلك الغاية (م).

Twitter: @ketab_n

سكان «أنشوين». فلم يحدث مرة وخيبوا طلبه أو طلب أي محتاج، ولم يقبلوا مرة ثمناً لمعروفهم. لكنه لم ييأس وتابع محاولاته، حتى وصل أمام أحد الأبواب ودق عليه، فظهر له زوجان عجوزان، جالسان بجانب الموقد. فسأل بتهذيب: «هلا تكرمتما باستضافتي لليلة واحدة فقط؟».

رد الرجل العجوز: «وهل تجيد قص الحكايات؟».

أجاب مندهشاً من السؤال: «لا، للأسف يا سيدي لا أجيد ذلك».

«إذن يمكنك متابعة طريقك، ابحث عن مكان آخر للنوم، نحن لا نستقبل في بيتنا إلا من لديه قصة يرويها».

لم يكرر بات طلبه، لأن لهجة الرجل العجوز كانت حاسمة، وابتعد متابعاً رحلة بحثه المضنية، ساخراً في نفسه من الوضع، مردداً: «ها.. يريدون حكاية! وما الحكاية إلا تلفيقات عجائز خرافية لتسلية الأطفال الرُضّع». ثم رأى في ضوء القمر ما يشبه مخزناً للحبوب يمتد خلف ذلك البيت، فحمل عدته واتجه إليه. كانت أرض المخزن نظيفة واسعة، وفي زاويتها كومة قش كبيرة وجدها ملجأً رائعاً، فاندس

Twitter: @ketab_n

تحتها على الفور، ولم يكد يستغرق طويلاً في النوم حتى استيقظ على صوت خطوات مخيفة. رأى أربعة رجال طوال كالعمالقة، يدخلون المخزن جارين جثة ألقوا بها أرضاً. أشعل العمالقة ناراً كبيرة في وسط المخزن وربطوا الجثة من قدميها بحبل ثبتوه على عارضة تمتد من السقف. ثم بدأ أحدهم بإدارة الحبل ببطء فوق النار، وقال لزميله: «تعال خذ دورك. لقد تعبت من التقليب». فأجابه: «لا لن أفعل». واستدار، مشيراً إلى مخبأ «بات»، وتابع كلامه قائلاً: «ألا تراه هناك تحت القش، لماذا لا يأخذ دوره في التقليب؟».

وبصرخة قوية كزلزال، أمر العمالقة الأربعة «بات» بأن يأتي ليستلم.دوره في تدوير الحبل، ولم يجد المسكين مفراً من الانصياع للأمر، والخروج من تحت كومة القش.

خاطبوه قائلين: «اسمع يا بات، قم بتدوير الحبل حتى تتحمّص الجثة على النار، وإياك أن تدعها تحترق، إن حدث هذا سنربطك مكانها». عند سماع تلك الكلمات، انتصب الشعر في رأس بات، وسالت من جبينه قطرات عرق باردة، لكن لم يكن بوسعه إلا تأدية وظيفته المرعبة في تحمير الجثة. وحين اطمأن الأربعة لحسن أدائه، وانغماسه في العمل،

Twitter: @ketab_n

انصرفوا من المخزن. لكن بعد مضي مدة قصيرة، ارتفع لهيب النار حتى طاول ثوب الجثة فاحترق، ثم سقطت بكاملها فوق النار المشتعلة مصدرة صوتاً كالرعد. فزع بات وهو يرى كيف تلتهم النار الجثة محولة إياها الى شظايا مشتعلة ورماد، ففر هارباً بأقصى ما لديه من قوة. استمر بالركض حتى خارت قواه ووقع على الأرض، ثم لمح بقايا قناة مغطاة بالعشب الطويل، فقرر الزحف والاختباء فيها حتى الصباح. لكن لم يقضِ إلا بضع دقائق في داخله حتى سمع صوت الخطوات المخيف مرة أخرى، ورأى الرجال العمالقة الأربعة، قادمين باتجاهه، يحملون جثة أخرى، ألقوا بها على حافة القناة، قريباً من مكان اختبائه. وقال أحدهم لآخر: «لقد تعبتُ، حان دورك لتحمل عني». فرد عليه: «لا لن أفعل. لكن انتظر، ها هو بات هناك في القناة، لماذا لا تطلب منه أن يأتي ويحمل عنك». فزأر أربعتهم بشدة، منادين على بات: «أخرج، أخرج يا بات». فخرج بات، مرتجفاً، ولم يجد بداً من وضع الجثة على ظهره، والمشي تحت ثقلها خلفهم حتى وصولهم إلى «كيل تاون آبي» وهي مقبرة أثرية يعربش على أحجارها نبات اللبلاب، وينعق البوم طوال الليل في كل زواياها، أما موتاها المنسيون، فهم نائمون بسلام تحت

Twitter: @ketab_n

جدرانها المغطاة بالطحالب. وقد هجرها الناس تماماً في هذه الأيام، ولم يعد أحد يدفن هناك. توقف العمالقة وبدأوا بحفر قبر. فكر بات أن فرصته قد حانت ليستغل انشغالهم ويهرب ثانية، فتسلق شجرة زعرور، وجدها بالقرب، واختبأ بين أغصانها.

قال الرجل الذي كان يحفر، مخاطباً أطولهم: «لقد تعبتُ، خذ الرفش واحفر عني». فرد عليه: «لا لن أفعل، لم يأتِ دوري بعد، هناك بات مختبئ في الشجرة، لماذا لا تطلب منه أن يحفر عنك؟». فنزل بات فوراً، وحمل الرفش، وبدأ بالحفر، وما إن فعل حتى انطلق صياح الديكة من المزارع المنتشرة بجوار المقبرة، فحدق الرجال الأربعة في وجوه بعضهم بعض، هامسين: «يجب أن نذهب». ثم استداروا نحو بات قائلين: «لحسن حظك يا بات أن الديكة استيقظت وصاحت، وإلا لكنتَ الآن مدفوناً هنا مع هذه الجثث».

مضى شهران على تلك الليلة، قضاها بات متجولاً كعادته في عرض مقاطعة «دونجال» وطولها، حتى تصادف وصوله إلى «رافو» في أثناء أحد المهرجانات. فلمح وسط الحشد الذي ملأ ساحة الاحتفال، رجلاً ضخماً يشبه أحد

Twitter: @ketab_n

العمالقة الأربعة. تقدم ذلك الرجل منه، وانحنى منعماً النظر في وجهه، ثم سلم عليه قائلاً: «كيف حالك يا بات؟».

فرد، مرتبكاً: «عفواً يا سيدي لم أتشرّف بمعرفتك!».

فقال العملاق: «ألا تتذكرني يا بـات؟ على كل حال، صار لديك الآن قصة ترويها حين تعود مرة أخرى إلى جبال أنشوين».

Twitter: @ketab_n



ISBN 978-9948-01-531-4
9 789948 015314